


دراسة في أحوال المجتمع العراقي من خلال كتب الرحلات

د. منتصر حسن دهيرب



# التعايش الديني في العراق

## دراسة في احوال المجتمع العراقي من خلال كتب الرحلات

- **التعايش الديني في العراق - دراسة في أحوال المجتمع العراقي من خلال كتب الرحلات.**
- **الربيعي، د. منتصر حسن.**
- **التصميم الداخلي: أحمد الياسمين.**
- الرقم الدولي (ردمك): 8-3-9509-9922-978 ( ISPN)





نَقرَأ لِنَكوْن ...

دار مسامير للطباعة والنشر والتوزيع

العراق -السماوة



07718139559 – 07803227367

dar.masameer@gmail.com






# التعايش الديني في العراق

## دراسة في احوال المجتمع العراقي من خلال كتب الرحلات

د. منتصر حسن دهيرب

2021

## الاهداء

الى أسرتي الصغيرة ...

أبـــي أمـــي اخـــوتي زوجتـــي ابنتـــي ريلاس.

الـــى أســـرتي الكبيـــرة ...شـــعبي الحبيب.

أصـــــدقائي الغـــائبون ... شـــــهداء الموقف والكلمة.

الــى الســاعين خلــف الحــرف والكلمــة والـــوعي أصـــدقائي (إيـــاد، لـــؤي، عزيز، محمد، عبد المنعم)

2021

# المحتويات

# المقدمة

تعد كتب الرحلات احدى المصادر المهمة في الدراسات التاريخية، كونها تسلط الضوء على الاحداث الاجتماعية والسياسية والاقتصادية خلال المدة التي وصل الرحالة الى ذلك البلد، لذا جاء هذا الكتاب كبادرة لتسليط الضوء على مفردة التعايش الديني[1] وكيف تطرق الرحالة الاجانب لها.

اخترنا في هذا الكتاب مفردة التعايش الديني والذي يعتبر هو اللب والاساس للتعايش المجتمعي ، فالمجتمع العراقي عبر التاريخ لم يكن مجتمعا احادي الوجهة (العرقية والدينية والاثنية) بل هو خليط غير متجانس من مجموعات بشرية سكنوا ارضا واحدة ، وعملت التوجهات الدينية (بسبب شياع الجهل والامية واللاوعي) الى السيطرة على عقول المنتميين اليها، لذا كانت النزعة الدينية الممزوجة بالعشائرية هي المحرك والموجه للجماعات العراقية والعرقية، لذا ومن البديهي ان تكون النزعات والتوجهات الدينية هي الشارخة لوحدة اي تجمعات انسانية وذلك لان محركاتها غالبا تنبثق من الوجهة الدينية التي تهتم بالحركات ذات النزعة الاحادية الطائفية، ان هذه التوجهات كانت حاضرة في الذاكرة التاريخية العراقية، لكن بذات الوقت هنالك نزعة اجتماعية عابرة للأديان كانت محركا صامتا للجماعات والاقليات الا وهي حالة التعايش الديني، وهذه الحالة فرضها الواقع الانساني والنزعة البشرية على الناس ، والذي لمسه الرحالة الاجانب في رحلاتهم . من جهة اخرى اخترنا (كتب الرحالة الاجانب) موضوعا للدراسة ، على اعتبار ان كل الرحالة الذين اشرنا لهم في متنه قادمين من دول ذات ثقافات تختلف عن ثقافة الشرق ، ولدى الكثير منهم صورة مشوهة عن العلاقات الاسلامية (الشعبية والرسمية) مع الأقليات الاخرى ، كما ان كثير منهم كانوا قادمون

لرسم صورة معدة سلفا للتعايش الديني والمجتمعي في العراق خاصة وعن الدولة العثمانية بصورة عامة ، فالمرتكز الديني الذي انطلق منه اغلب الرحالة وصورة الصراع في الشرق هو احد المرتكزات الاساسية للتحرك والبحث الرحلي فضلا عن الاسباب الاخرى التي سوف تتطرق لها موضوعات الكتاب ، لذا ركزنا في متن الكتاب على الرؤية البعدية التي انبثقت عن هؤلاء الرحالة والصورة المغايرة التي وجدوها لاسيما عند اهالي العراق ، وطرق تعاملهم الحسنة مع الاقليات الدينية ، وهذه الصورة كانت عبارة عن اشارات ذكرها الرحالة في كتب رحلاتهم عملنا على تجميعها واستقراءها وتوظيفها وربطها ومحاكاة ظروفها ، فكثير من الرحالة يصفون المدن ويذكرون القضايا السياسة والاقتصادية ، لكن قلة منهم من تطرق لمعيشة الاقليات وعلاقاتهم ، لذا لم يكن من السهولة ابدا الوقوف على المعلومة ذات الصلة بموضوع البحث وسط هذا العدد غير القليل من الرحلات التي اطلعنا عليها مما اضطررنا للبحث بين سطورها فكان ما خرجنا به.

كما اشرنا في متون الكتاب لازمة خطرة رافقت الدولة العراقية الحديثة بل واستمرت معها حتى هذه الساعة الا وهي ازمة الهوية العراقية ، فالباحث في المجتمع العراقي يجد انه يعاني من مشكلات بنيوية على صعيد تشكيل هويته ، فالمشتركات والتعايش الذي اشار وكان يمارسه العراقيون لم يسهم في ارساء اسس هوية مائزة يجتمع عليها الشعب العراقي بتنوعه وتعدده ، وقطعا كان للدولة الثيوقراطية العثمانية أثر كبير في منع تشكل تلك الهوية ، فالدولة اسست على ان الدين الاسلامي هو الحاكم، وهذا الاخير لا يعترف بالهويات الفرعية التي تميز الشعوب والمناطق عادة ، بل يعمل على اذابتها في جسد الدولة الثيوقراطية الناشئة، وبطبيعة الحال كان ذلك سبب من

بين اسباب عديدة بيناه في الكتاب حالت دون تشكل الهوية العراقية رغم حالة الاندماج والتعايش السلمي والديني.

اخترنا مدة السيطرة العثمانية (1534-1875) موضوعا للدراسة لأمور عدة اهمها:

1- ان الرحلات الى المدن العراقية لم تكن رحلات مستمرة بل كانت متقطعة بين مدة واخرى، فضلا عن ان كثير من الرحلات لم تتطرق للعلاقات الاجتماعية.
2- طول المدة يتيح للباحث تتبع الاثر الاجتماعي للتعايش وتأثيراته وامتداداته وتأصيلاته النفسية عند السكان، كما تتيح إطلاق رؤية كلية عن حقيقة التعايش، فلكي نطلق ذلك الحكم الكلي على مجتمع ما يجب ان تدرس الآراء والمقولات التي تدعم ذلك على حقب زمنية مختلفة، وهذا المنهج اتبعته مدرسة الحوليات الفرنسية في بحثها عن التطورات المجتمعية وأثرها في مجتمع ما وهو ما عرف بتاريخ الامد الطويل.
3- يمكن من خلال ذلك اعطاء صورة أكثر وضوحا عن طبيعة العلاقات المعاشة بين ابناء المجتمع الواحد وعلى حق ومدد زمنية طويلة.

حاولنا ان نشير في كل فصل الى جغرافية المدينة -موضوع البحث- بحسب ذكر كل رحالة ، لأننا اردنا من خلال ذلك ان نتتبع الوضع الخدمي والعمراني للمدينة وكيف تطورت المدينة خلال تلك الحقب ورسم خارطة سكانية للتوزيع المجتمعي فيها .



# الفصل الاول

## التعايش الديني في مدينة بغداد من خلال كتب الرحلات

## (1875-1573)

### مدخل

تعرضت الاقليات في العراق لاسيما اليهود والنصارى الى اضطهاد وعنف كبيرين بعد سقوط الخلافة العباسية ، فقد اضطهدوا وهجروا تحت حكم المغول والحكومات التي حكمت العراق خلال تلك المدة ، فبعد احتلال تيمورلنك[2] للعراق قتل اكثر من 10 الاف يهودي في الموصل والبصرة ودمر مدارسهم وبددت الجماعة في المدن ،[3] وعمل كذلك مع النصارى، فقد ذكر الباحث رفائيل بأبو اسحق ذلك بقوله " **هجر النساطرة بغداد والبصرة وكل مدن العراق ما عدا الموصل وتوابعها والتجأوا الى قمم جبال كردستان وبلاد فارس حتى انقطع ذكرهم من عاصمة العباسيين ... وهدمت معابدهم ... ولم تعد فئة من النصارى الى مدينة السلام الا بعد مرور قرن او اكثر على نزوح اجدادهم عنها "** .[4]

بدأت الدولة العثمانية بعد سيطرتها على القسطنطينية عام 1453 بتطبيق نظام الملل (الطوائف الدينية) منذ عهد السلطان محمد الفاتح[5]، فأعطت الطوائف الدينية حينها حقوقها العبادية، فقد منحت الطائفتين اليهودية والمسيحية صلاحيات اوسع في ادارة شؤونها وقضايا رعاياها، ومنحتهم حق

التمتع في ادارة اموال واملاك الاديرة والمعابد، لكن تلك الصلاحيات ضيق عليها وفقا لتوجهات السلاطين والولاة والمؤثرات الخارجية للدولة.[6] فخلال فترة حكم سليمان القانوني(1520-1566)[7] منح الاقليات الحريات الواسعة في ادارة شؤونها، وشعرت (لا سيما اليهود منهم) بنوع من الاستقرار النسبي. فقد أحسن مراد الرابع[8] لليهود كثيرا ولبى الكثير من مطالبهم، وكتب اليهودي اسحق زرفاني في منتصف القرن السادس عشر رسالة الى يهود المانيا يدعوهم للقدوم الى بلاد الاتراك لما يتمتعون به من امتيازات اذ قال " ان بلاد الترك ارض لا يعوزكم في فيها شيء فمنها تصلون الى الارض المقدسة سالمين، كما يتمكن كل واحد هنا من لبس افخر الثياب ومن الجلوس تحت كرمته، اما هناك تحت حكم النصارى فأنكم لا تقدرون على الباس اولادكم اللون الاحمر او الازرق".[9]

كانت الاقليات خلال حقبة حكم المماليك في العراق(1750-1831م) تعاني من مضايقة الولاة لهم،[10] فقد كانوا قبل عام 1831 ملزمين بعدم امتلاكهم اي نوع من العبيد، ويمنعون من ركوب الحيوانات في الشوارع ،[11] وكان على ابناء الطوائف (مهما كان مركزهم) ان يترجلوا عن حميرهم اذا مروا بقرية الاغا او من هو اقل منه درجة احتراما لهم ، وكان عليهم ان ينحنوا بهاماتهم وجذوعهم اذا مر من امامهم احد الموظفين العثمانيين ،[12] لكن بعد ذلك تغيرت احوالهم و سمح لهم بامتلاك العبيد وركوب الحمير والبغال فقط ، وشرط عليهم عدم ركوبها مطلقا او النزول منها عند مرور سيد من السادة ، واستمر منع ارتدائهم العمائم البيض والخضر لأنها خاصة بالمسلمين حصرا .[13]

# المبحث الاول

## جغرافية بغداد وتقسيماتها كما وصفها الرحالة الاجانب

### أسباب الرحلات وأهميتها

تعد الرحلات واحدة من المصادر المهمة التي يستند اليها الباحث العلمي في كتاباته الفكرية او الوصفية، وتكمن اهمية تلك الكتابات لكونها تشتمل على عنصرين مهمين هما: المعاصرة الزمكانية للحدث، فضلا عن اصالة المعلومة المنقولة عنها. فالنص الرحلي هو نصاً مملوءاً بالأحداث التي اعتادت العين على مشاهدته واطالة التمعن به، كما يعد مهماً جداً في التوظيف عند الكتابة التاريخية لملازمته الحدث كما أسلفنا. [14]

اما الرحلات فهي متنوعة من حيث المظهر والهدف والغاية، فمنها ما كانت لأهداف استكشافية او تبشيرية او استطلاعية معرفية فضلا عن الرحلات الاستخبارية. وقد حرص رواد الرحلات على ايراد وصفاً دقيقاً للمناطق والاحداث التي يمرون بها، لذا نجد ان الرحلة الواحدة تتنوع بين الوصف الجغرافي والسيسيولوجي والمناخي والسياسي، لذا يمكن القول ان النص الرحلي هو نص بانورامي التقط لمجتمع معين في مرحلة من مراحله، ووضع تحت ناظرنا للتزود منه معرفيا.[15]

اجتاح البلدان الاوربية في القرن الخامس عشر تيارا مهما عرف بتيار الانسانيات[16]، فأنكب ارباب ذلك العصر بالبحث والتنقيب عن التراث القديم بدأً بالتراث اليوناني واللاتيني ونهايةً بأدب الشرق، وفي نهاية القرن

السادس عشر توجه علماء الغرب للبحث في التراث الفكري والادبي الشرقي واستكشاف الحضارات القديمة ، فقد شرع الباحثون بالتعمق في دراسة حضارة الشرق وبمختلف ميادينها مثل (الطب، الرياضيات، الفلك، الفلسفة)، فيما عكف آخرون على دراسة التاريخ والحضارة الاسلامية، وكانت الغاية الرئيسة في ذلك هو نشر الديانة المسيحية ومجادلة رجال الدين المسلمين. [17]

كان العراق المحطة الابرز للرحلات الاوربية، وذلك لأسباب عدة منها:

1- عمق حضارته وسعت ثقافته .
2- يعد بلداً غنياً لذا قصده الرحالة لغرض التجارة.
3- يعد بلداً متعدد الثقافات والاديان وشعبه من الشعوب المنفتحة دينياً ومتعايشة بصورة سلمية. [18]

تعد بغداد والموصل والبصرة من اهم الحواضر الثقافية العراقية على مختلف الازمان، كونها تمثل مراكز متنوعة للثقافات العراقية ومدن كانت التعددية الدينية حاضرة بها، لذا قصد اغلب الرحالة تلك المدن وجعلوها مراكز انطلاق لرحلاتهم، كما كتبوا وصفاً دقيقاً لكل مدينة شملت الجوانب السياسية والاجتماعية والجغرافية.[19]

**الاهمية الجغرافية لمدينة بغداد كما وصفها الرحالة الاجانب**

لم تكن بغداد تلك المدينة العامرة المستقرة، فقد تعرضت للنكبات والصراعات الداخلية و الخارجية والتدمير الاهوج على جميع الاصعدة، فبعد سقوط الخلافة العباسية عام 1258م تعرضت بغداد لهجات خارجية اودت بعمارتها وتعايش ابناءها، وبعد ظهور الدولتين العثمانية والصفوية اضحت

محور الصراع العثماني الصفوي منذ 1534، وبعد فرض الدولة العثمانية السيطرة عليها وعلى العراق بصورة عامة جعلت منه مكان لجمع الضرائب فقط دون العمل على تطويره او بناءه .[20]

ان صورة بغداد كما كانت عليه زمن زيارة الرحالة اليها تعد مظهرا للحقب التاريخية للاحتلال الاجنبي لها وما رافقه من تدمير واهمال لمعالمها الحضارية، فالخراب استولى عليها حتى ان قليل من الابنية كان يستحق المشاهدة.[21]

لذا اشار اغلب الرحالة للرثاثة العمرانية لبغداد عند مقارنتها بالمدن القادمين منها، فقد ذكر الرحالة ليونهارت راروولف ان بغداد حتى عام 1573 كانت على قسمين يشقهما نهر دجلة، وهي مدينة تفتقر الى النظافة والتنظيم ، فشوارعها ضيقة وبيوتها غير جيدة البناء ، وتكثر بها الجوامع القديمة الخربة فقال " ... **ومثل هذا ينطبق على المساجد التي كانت لقدمها تبدوا سوداء ، فقد تهدمت بحيث يصعب عليك ان ترى واحد منها سالما** ..." [22] .

مر الكثير من الرحالة الاجانب في مدينة بغداد ووصفها الكثير من حيث العمران والتعدد والاسواق والاثر السياسي، ويعد الرحالة الايطالي بالبي احد هؤلاء ان لم يكن اولهم ، فقد قدم وصفا جيدا للمدينة وسكانها واثرها الجغرافي والتجاري المهم بالنسبة لبقية مدن العراق، وقد اثر ذلك ايجابا على تنوعها وتعايشها الديني .

فالرحالة بالبي الذي سماها( بجياديت Bagiadet ) سحرته المدينة بمناظرها الخلابة وبساتينها المنشرة العامرة وكثرة مساجدها وقبابها المزخرفة، وتمتاز بغداد بكثافة سكانها رغم صغر مساحتها ، وتمتاز ايضا

بكثرة وفود الاجانب اليها لأغراض التجارة والاستكشاف ، فالمدينة ترد اليها العديد من القوافل التجارية يوميا والتي تتجه الى بقية ارجاء المنطقة بمختلف الاتجاهات ، فقد عبر بالبي عن ذلك بقوله"... **تجري فيها الاعمال التجارية بكثرة لبضائع الاجانب ، لأنها ممر مهم الى بلاد العرب والى تركية ، والى بلاد فارس والى سائر الاقطار ، ومما يؤيد كلامي كثرة القوافل التي تمر بها يوميا ، اذ تدخل اليها وتنطلق منها في مختلف الاتجاهات**" .[23]

ان حجم التبادل التجاري أسهم بصورة واضحة في زيادة التعايش الديني والمجتمعي في المدينة، فكثرة الوافدين اليها من الاجانب ومن مختلف الملل والنحل أسهم في ذلك التعايش.

اما الرحالة ديللافاليه -الذي زار بغداد عام 1626- فميز بين مدينتي بغداد وبابل، فذكر ان بغداد تختلف من حيث الموقع عن بابل، وميزها ايضا عن سلوقية او طيسفون . واكد ان اسم المدينة هو بغداد وليس كما يطلق عليها _بحسب تعبيره_ (الجهلة) اسم بغدات، او كما اسماها العامة (بابل)، كما رفض التسمية التي أطلقها ماركو بولو وهايتون الارمني وهي (بلداك) او تسمية الشاعر الايطالي بترارك (بلداكو).[24]

وكانت عمارة المدينة موضع نقد من الرحالة الفرنسي باتيست تافرنييه الذي زار بغداد عام 1632 واشار الى عمارتها بقوله " **ان جوامعها معدودة وخاناتها العشرة متداعية وحالتها العمرانية سيئة وهي غير مأهولة بما يناسب سعة رقعتها**"، كما وصفها الكاتب ريجارد كوك بقوله " **وهوت حال بغداد مرة اخرى الى الحضيض الأوهد ، فلقد اصاب الحصار الكثير من البنايات الكبرى فيها ولم يصلح من شأنها الا القليل . ولعل هذا الوقت هو بدء زوال**

**ما بقي من مشيدات عهد الخلفاء، وانهيار المدارس والحياة الثقافية في المدينة انهيارا نهائيا"**.[25]

تقوم مدينة بغداد على نهر دجلة وتنقسم الى قسمين الاول على ضفة النهر الغربية وهي غير مسورة، اما الجهة الاكبر منها تقع على الضفة الشرقية وهي محاطة بسور. اما بنائها فهو من الطابوق القديم المشيد بالطين، واغلب البيوت اقل من ارتفاع الطرق، وقد عمد الناس لذلك البناء تلافيا لحر الصيف، لذا خلت بيوت البغداديين من النوافذ الكبيرة، واغلب بيوتها تكون من طابق واحد فضلا عن السراديب التي يقضي بها اهل الدار معظم ساعات النهار خلال فصل الصيف .[26]

تنتشر في المدينة مساحات كبيرة من البساتين التي تحتوي اشجار مختلفة مثل النخيل والرمان والليمون ، فضلا عن الفجل والخضروات الاخرى . فيما يذكر ديللافاليه ان بعض اهالي بغداد يحرصون على زراعة الافيون وبعض النباتات المخدرة الاخرى.[27] وهذه المعلومة انفرد بها ديللافاليه ولم ينقلها رحالة غيره .

نقد الرحالة سيبستياني (1656-1660) حال العمران في مدينة بغداد وقال انها لم تكن من المدن الكبيرة لو قارناها بإحدى مدن أوربا لكنها تكون كذلك لو قورنت بأحدى المدن الاسيوية، فهو لا يعتبرها مدينة مهمة من حيث العمران والتحصينات ، فيذكر " **ان ابنيتها وتحصيناتها هي احقر بكثير من اصغر مدننا في اوربا، لكنها في نظر الفرس والاتراك هي درع عروشهم المتين،...فيعمدون على تقوية حصونها ويدافعون عنها بكل قواهم ، مختصر القول ان المدينة ليست بتلك العظمة التي اشتهرت بها** " .[28]

حاول الرحالة جاكسون(1797) ان يكون اكثر دقة في وصف جغرافية المدينة فأشار الى انها تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة وهي مدينة واسعة مكتظة بالسكان تمتد على ضفاف النهر حوالي 3 اميال، اما طول اسوارها الممتدة على النهر فهي زهاء ميلين ، اما اسواقها فهي واسعة مزودة بمختلف المواد ، ويشكل الارمن التجار الرئيسين للسوق وهم يعملون في بيع النحاس.[29]

اما الرحالة دوبريه (1807) فوصف مدينة بغداد وموقعها فقال "**تقع بغداد على ضفة دجلة على بعد 12 فرسخا جنوبا من بابل القديمة (سامراء)**"،[30] وحسب التقسيم الاداري للعراق فان مدينة بغداد آنذاك كانت تشمل اغلب مناطق وسط وجنوب العراق الحالي ، وقد حاول الرحالة دوبريه ان يصف حدودها بقوله " **ان ولاية بغداد محدودة شمالا بباشوية ديار بكر وجبال العمادية، ومن الشرق ببلاد فارس ، ومن الجنوب بالخليج الفارسي ومنطقة البصرة ، ومن الغرب بمدن اورفا والبيرة وتدمر والصحراء العربية اي بادية الشام. وتبلغ مساحة هذه الولاية 250 فرسخا طولا و180 عرضا** ".[31]

وتقع بغداد على خط عرض (15، 33) وخط طول (43،13)، ويقسم نهر دجلة المدينة الى قسمين ، ويحيطها سور مشيد بالآجر ، ويوجد في المدينة جسر واحد وقوارب عدة لنقل الناس الى جانبي المدينة ، ما القسم الايمن للمدينة ( الكرخ) فهي ضاحية عامرة بالبساتين وغابات النخيل ، وقد شيد الباشا سليمان الكبير(1780-1802) لها سورا وحفر لها خندقا ويتم الدخول اليها من ابوابها الاربعة وهي:

1_ امام موسي قبوسي (باب الامام موسى)

2_شيخ معروف قبوسي (باب الشيخ معروف)

3_حلة قبوسي (باب الحلة)

4_كريمات قبوسي (باب الكريمات)

اما الجانب الايسر من المدينة فيدخل اليها من ابواب الاربعة هي:

1_اورطة قيو وتقع في الشرق _جنوب (الباب الشرقي)

2_قرلنيق قيو وتقع في جهة الجنوب

3_ جزيرة قيو  وتقع في جهة الغرب

4_ امام اعظم ويقع في الشمال (باب المعظم)

وهنالك باب مسدود يدعى باب الطلسم.[32]

يمتاز مناخ بغداد بالاعتدال في الربيع والخريف بينما يشتد الحر في فصل الصيف ويشتد البرد في الشتاء، ولا تشهد المنطقة اي سقوط للثلوج.[33]

حاول المنشي البغدادي (1822) أن يكون أكثر دقة في وصف جغرافية بغداد ومناطقها فأشار الى ان بغداد مقسمة الى قسمين: هما بغداد القديمة (الكرخ) وبغداد الجديدة (الرصافة)، والمدينة لها اربعة ابواب لكلا المنطقتين وهي كالاتي:

1- باب الكاظم

2- باب الشيخ معروف

3- باب الحلة

4- باب الكريمات (تقع شرقي بغداد القديمة)

اما بغداد الجديدة فلها أربع ابواب وهي:

1- باب الجسر وتقع وسط المدينة.

2- باب المعظم، وتقع غربي المدينة.

3- الباب الوسطاني، وتسمى ايضا الظفرية او باب كركوك.

4- الباب الشرقي.[34]

كما ذكر المنشي وصفا دقيقا لأسواق بغداد ومراقدها الدينية، فأشار الى ان المدينة كانت تضم مختلف المراقد الدينية والخانات والمدارس، فقد ذكر المدرسة المستنصرية وجامع الخلفاء والمدرسة الوقائية وسوق الخفافيين، وخان اورطمة وجامع المرجانية وخان مرجان وسوق القيصرية وسوق المرجانية وجامع بنجة علي -الواقع في شارع الرشيد- ، اما ما ذكر من المراقد في مرقد الامام موسى الكاظم وابو حنيفة والشيخ معروف وعبد القادر الكيلاني واحمد بن حنبل والسيدة زبيدة زوجة الرشيد وشهاب الدين السهروردي والشيخ ساج الدين وابو يوسف وجنيد البغدادي وغيرهم،[35]، وذكر ايضا التكية البكداشية او ما تعرف بتكية (خضر الياس) ويعود بنائها لألب ارسلان السلجوقي وهي تشبه الكعبة من حيث الشكل، فلها اربعة اركان، وفي كل ركن منصوب به حجر اسود، لكنا التكية طالها الخراب – بحسب قول الرحالة- ولم يستطع احد قراءة الكتابات الموجودة بها.[36]

كما تعد رحلة فريزر (1838) من الرحلات المهمة كونها سلطت الضوء على طبيعة المجتمع البغدادي والعمارة البغدادية ومدى تطورها ، فقد قدم وصفا جيدا عن اسوارها واسواقها وبيوتها ، ولم يكتف بذلك بل ذكر اسماء اسواقها والمهن الشائعة آنذاك ، ويبدو ان مدينة بغداد قد تطورت عمارتها بعض الشي عما كانت عليه من وصف من الرحالة السابقين فقد قال " يعتبر منظر بغداد لأول وهلة منظرا بديعا يبعث على الانطباع الحسن ، فالأسوار منظر مهيب يؤثر في النفوس ، فهي مبنية بالآجر المطروق ومدعومة من كل

زاوية بأبراج مدورة لها فتحات (مزاغل) للمدافع، وفيها بيوت مبنية من عدة طوابق ذات منظر حسن اما اسواق المدينة فهي ضيقة وغير مبلطة واغلب تلك الاسواق مظللة بسعف النخيل وفي بغداد اسواق عديدة تسمى بأسماء ممتهنيها مثل سوق الغزل وسوق الموسلين وسوق الحنطة وغيرها .[37]

وانفرد الرحالة جيمس فيلكس جونز عام 1853 بذكر التقسيمات الداخلية لأحياء المدينة، فأشار ان بغداد في جانبها الشرقي (الرصافة) تحوي على 40 محلة وتحوي تلك 300 شارع (عكد) اما الجانب الغربي فيحوي خمسة محلات فقط، واشار الرحالة الامريكي تيرمان ان اغلب سكان بغداد يعيشون بالجانب الايسر منها وهي تحوي على 18 محلة غير متجانسة التوزيع السكاني، ففي احداها الف دار وفي الاخرى 50 دارا فقط ، وذكر ان العدد التقريبي للدور هو 90 الف دار. [38]

## المبحث الثاني

### التعايش الديني في بغداد كما وصفه الرحالة الاجانب قبل الاصلاحات العثمانية (1626-1822)

اخضعت الدولة العثمانية الاقليات الدينية لقوانينها الخاصة، وحدت بذلك من حرياتهم الشخصية والعبادية، ولم تساوي بينهم وبين المسلمين في التعامل والحقوق، لكن رغم ذلك كان العراق بصورة عامة وبغداد بصورة خاصة اقل اقاليم الدولة العثمانية تضييقا على حريات الاقليات، بل لم يتعرض اي من الاقليات الى اضطهاد على اسس دينية من قبل الاكثرية المسلمة .[39] وذكر ذلك اغلب الرحالة الاجانب الذين زاروا بغداد خلال تلك المدة.

#### اولا: رحلة ديللافاليه 1626

لم تكن مدينة بغداد مدينة للانفتاح فقط ، فقد شكل اهالي حزام بغداد روح لذلك التعايش ، فيذكر الرحالة الايطالي ديللافاليه عند وصوله بالقرب من بغداد انه مر بقرية صغيرة كان اغلب اهلها من المسلمين ،لكنه سمع ان بين اهالي القرية كانت تعيش طائفة لا يؤمن اصحابها بالأخرة او بوجود الله، اذ لا صيام عندهم او صلاة ، ولا يقيمون اي شعائر لعبادة الله، بل لا يقيمون حرمة لمحارم الله ، فهم لا يتقيدون بشرائع المجتمع او الدين ، فهم يتزوجون بالأمهات والاخوات ،ويعتقد الرحالة بحسب ما نقل اليه انهم يعبدون الشمس لانهم ينحنون لها عند الشروق ويحيونها بالتمتمات والرموز الخاصة ، فهم يفعلون ذلك سرا خوفا من سلطة الدولة الاسلامية ، فيعتقد الرحالة

وناقلوا الاخبار انهم من بقايا المجوس .[40] وفي الحقيقة لم نستطع ان نجد لهذه الطائفة ذكر في المصادر التي كتبت عن تلك الحقبة ، او حتى في رحلات اجنبية اخرى ، لكن ما يعنينا من امر هذه الفئة التي انفرد هذا الرحالة بذكرهم انهم كانوا يعيشون مع المسلمين في الارض نفسها وفي ذلك دليل واضح على عمق التعايش الديني والمجتمعي العراقي .

كانت غالبية سكان بغداد من المسلمين بمختلف مذاهبهم، اما المسيحيون فلم تكن اعدادهم كبيرة في المدينة. فقد تعرضت بغداد 1508 الى هجمة صفوية كبيرة بقيادة اسماعيل الصفوي استطاع من خلالها ان يحتل المدينة ويخضعها لمذابح كبيرة شملت المسلمين السنة والمسيح الا اليهود فسلموا منها،[41] ويذكر الاب الدكتور بطرس حداد ان مسيحيي العراق لم يبق لهم بعد تلك الحملة باق. [42] ويبدو ان وصف الاب بطرس حداد مبالغ في فيه نوعا لأنه ينطلق من خلفيته الدينية التي تحاول ان تظهر اضطهاد ومظلومية تلك الجماعة من قبل الجماعات او السلطات الحاكمة.

ووفد اليها المسيحيون منذ سنوات قليلة هربا من الرعب الذي تعرضوا له في مختلف بقاع الولايات العثمانية، ويشير ديللافاليه الى ان المسيحيين حتى تاريخ وجوده لم يسمح لهم بناء الكنائس او اقامة شعائرهم الدينية، بل كانوا يعاقبون إذا ما فعلوا ذلك. وقد ذكر ذلك بقوله "... **كما كان لنصارى مقابرهم الخاصة حسب طوائفهم وطقوسهم. لان المسيحين وفدوا الى بغداد منذ سنوات قليلة هربا من الحروب والقلاقل في البلاد الاخرى. ولا توجد حتى الان كنيسة خاصة بهم ولا يسمح لهم بإقامة الشعائر الدينية لذلك، فعندما يريدون اقامة القداس يجتمعون سرا في بيت خصص لهذه الغاية ويقام القداس حسبما فهمت من دون مذبح خوفا من السلطات التركية ان تعثر عليها فتكون العاقبة وخيمة ...**".[43]

من خلال ما ذكره الرحالة نجد ان اقامة الشعائر المسيحية كان ممنوع من السلطات العثمانية، وليس هنالك اي منع من الاهالي ولم يتطرق الى اي مضايقات من اهالي بغداد اطلاقا. وذكر الرحالة ايضا " ... **وكان عدد النصارى في بغداد قليلا فقد مرت فترة من الزمن لم يكن فيها اي نصارى ابدا، ولكن في الفترة الاخيرة وفد اليها عدد من مختلف الجهات ينتمون الى مختلف الطوائف، التجأوا اليها للتخلص من الحروب المتكررة والفتن والاضطرابات التي كانت تنشب في ديارهم، فجاءوا الى هنا طلبا الى الاستقرار والامان. ونظرا لقلة عددهم وحداثة تجمعهم في المدينة، لم يسمح لهم حتى الان بممارسة شعائرهم (علنيا) لذا فهم يمارسونها بالخفاء نوعا ما ولا يتظاهرون بها فحالتهم حرجة وجهلهم بالأمور الدينية مطبق،... لذا نجد بين الشعب صبيانا لم ينالوا العماد بعد اما بسبب غياب القس من طقسهم او لعدم تمكن ذويهم من دفع المال المطلوب ... فالقساوسة في بغداد بخلاء جدا لا يقدمون الخدمة الدينية الا لقاء مبالغ مالية**". [44]

## ثانيا: رحلة سبستياني 1664.

بعد سيطرة الدولة العثمانية على العراق وسيطرتها على بغداد بقيادة السلطان مراد الرابع عام 1638، [45] تحسنت احوال الاقليات في بغداد وبدأوا يمارسون شعائرهم الدينية بحرية اكبر، وبعد تولي اق محمد باشا (محمد باشا الابيض) ولاية بغداد خلال مدة {1654_1656} تحسنت احوال الاقليات في بغداد لاسيما المسيحية منها ،ويعود ذلك الى خلفية الوالي نفسه، فهو بوسني مسيحي، كان يكن احترام كبير للآباء الكبوشيين في بغداد، فقد عمل احد الاباء الكبوشيين على شفائه من مرض ابتلى به، لذا حرص الوالي على أن يرسل صدقة جارية، وقد عمل مفتي بغداد وقاضيها

ورئيس الانكشارين على ارسال الهبات اسوة بالوالي، لذا تراكمت الصدقات وزادت عن حاجة الاباء، فراح يوزعونها على الفقراء المسيحين، وقد اعفى الوالي المسيحين من دفع الضرائب المفروضة عليهم سابقا.[46]

اخذت العوائل المسيحية في التزايد خلال تلك المدة،[47] فبلغت عدد العوائل الكاثوليك نحو (30 الى 40) عائلة اما الارمن و اليعاقبة والنساطرة فلا يزيدون مجتمعين عن 200 عائلة، وهم يجتمعون للصلاة سوية في دير الاباء الكبوشيين .[48]

وذكر الاب بطرس حداد عن احداث تلك المدة بقوله " ... نحو سنة 1628 اخذنا المأوى في بغداد، حيث تعلم اول المرسلين وهو الاب جوست اللغة العربية، واستطاع ان يكسب حالا من السريان نحو 20-30 عائلة، وقسما كبيرا من النساطرة الذين يعدون ما بين 70-80 عائلة، ... ولهم فيها مدرسة ما بين 20-25 صبيا ..." ، وعندما احتل العثمانيون بغداد عام 1638 وضعوا اليد على دير الاباء ، فتوسط لهم عند السلطان السيد ميخائيل اغا طوبجي باشي -والذي كان قريب من العثمانيين- فأعيد الدير الى اصحابه وايده حقوقهم بفرمان عام 1639.[49]

يذكر لونكريك ان التسامح الديني في عهد الوالي اق محمد باشا كان منتشرا في بغداد، فقد فتح كنيسة للنساطرة واخذت الاقليات تمارس حريتها الدينية، كما كانت ابواب الكنائس مفتوحة لعرب والاتراك على حد السواء لغرض تلقي العلاج الطبي، فالكثير من السكان كان يقصدهم لتلقي العلاج.[50] يذكر الرحالة سبستياني قبل مغادرة بغداد انه استقل دانكا للوصول الي البصرة وكان الدانك يحمل اتراك كثيرون ودراويش وتجار وجنود

انكشاريون وجماعة من البدو والهنود وقسيس أحدهما نسطوري واخر يعقوبي وكاهنان ارمينيان.[51]

ان التنوع الكبير للسكان على ظهر الدانك يبين لنا حجم التنوع اديني والعرقي في بغداد، فكانت تضم مختلف الاديان والملل، رغم ذلك لم ينقل الرحالة سبستياني خلال مدة مكوثه الى اية حادثة تشير الى حدوث مضايقات من المسلمين للاقليات الاخرى، حتى على ظهر ذلك الدانك الذي اقلهم الى مدينة البصرة، رغم ان المسلمين الذين كانوا في الدانك متدينين لكنهم كانوا يبدون كل الاحترام والتقدير لمن معهم من ابناء الاقليات او الاجانب. فقد ذكر سبستياني ما نصه "... **وهم يصلون بسجدات وركعات وانحناءات متكررة، ولم يتأخروا عن موعد الصلاة ...، وللمسلمين ادعية كثيرة واوراد يرددونها دائما ونحن في المركب يطلبون من الله السفر الميمون الموفق**" .[52]

كان مسيحيو بغداد يخضعون في قمعهم وارضائهم لمزاج والي بغداد،[53] ففي الوقت الذي لقوا فيه معاملة حسنة من الوالي اق محمد باشا نجد ان تلك المعاملة قد تغيرت بعد تولي بغداد الوالي (محمد الخاصكي) (1656_1659) فقد قدم عليه بعض الوشاة ممن تحاملوا على الحرية التي تمتع بها المسيحيون ايام الوالي السابق وقيامهم ببناء كنيسة كبيرة لهم، فعمل على اضطهادهم ووضع يده على الدير واقام مكانة مسجدا ثم كبلهم بالحديد واوقفهم ووضع بعضهم تحت الاقامة الجبرية في بيت أحد المسيحين ومنعهم من الخروج.[54]

وقد ذكر عباس العزاوي تلك الحادثة بقوله " في ايام هذا الوزير كان بنى بعض الرهبان كنيسة بقرب مرقد الشيخ الازهري وهو من الاولياء والمشايخ العظام ، حتى ان النصارى لم يبنوا في بغداد من ابتداء عمارتها ديرا (كذا)

فلما سمع الوزير بذلك ضرب الكنيسة وبنى موضعها جامعا يئمه المسلمون واعلى قبته وبنى له منارة وجعل طبقاته مقرنسة ، واتخذ له جدرانا قوية وسمي ( جامع نور سلحدار محمد باشا ) وعرف باسم جامع محمد باشا السلحدار ثم شاع باسم جامع الخاصكي ....".[55]

اما الاب سهيل قاشا فقد اشار الى ان الوشاة والتحريض كان من جماعات مسيحية مبغضة لانتشار المسيحية الكاثوليكية حيث قال " ... بيد ان ازدياد عدد المتكثلكين لم يكن يجري برضا قيادات الطوائف القديمة حتى يمكن القول بان الصراع بين الطرفين كان هو السمة الاساسية للحياة الاجتماعية لنصارى العراق ابان عهد المماليك. وكانت الوشاية لدى الحكومات المحلية من الاساليب التي كثيرا ما لجا اليها المتنازعون، خاصة ان تهمة تعاون ابناء البلاد الكاثوليك مع المبشرين الاوربيين وهم اجانب تبدو معقولة دائما، فبسعي من النساطرة واليعاقبة الارثدوكس طرد والي بغداد محمد باشا الخاصكي الكبوشيين من مقرهم ببغداد سنة 1658...".[56]

ويبدو ان رواية الاب سهيل قاشا منطلقة من خلفيته الدينية الكاثولوكية المبغضة لبقية الطوائف ، فالأقليات لم تكن صاحبة قرار في قصر الوالي كي تشي بطائفة اخرى ويقوم الوالي باضطهادها، لكن الروايتين الاخريين كانت الاقرب للمنطق لأنها الاقرب لعقلية الولاة ذات الطابع الديني ، فبناء كنيسة اكبر من الجوامع ما يثير ردة فعل عند الولاة، ويبدو من العرض اعلاه ان الوشاة وحاشية الوالي قدا اوغلوا صدر الوالي ضد المسيحين وبناءهم الجديد في بغداد، فالبناء على ما يبدوا بناءً كبيرا وهو اكبر من مساجد بغداد الاخرى ، لما كان الوالي الجديد معروف بتدينه( بداية حكمة) كبر عليه ان يكون للمسيحين بناءً كبيرا او قد يكون الاكبر في بغداد ، لذا حرص على

مصادرته والنكاية بهم ، والحقيقة لا يعرف سبب تلك النكاية الكبيرة بهم فلم تذكر المصادر ذلك السبب؟؟

وعلى الرغم من ذلك لم يتوقف النصارى عن ممارسة شعائرهم فقد اشترى الاب جوست الكبوشي دارا في بغداد واتخذها مسكنا ومصلى يقيم في فيها و جماعته العروض الدينية، وكان الدار مجاورا لقبر الشيخ محمد الازهري وكان في السابق محلا لبريد حلب ثم مقرا للقنصل الانكليزي (مدير شؤون بريد شركة الهند الشرقية) ، ثم انقسم الى دارين احدهما لإسكندر غالب بن انطون موسى والثانية ليعقوب سويدة .[57]

كانت الدار الجديدة الذي حل بها الرهبان ملاذا للمسيحيين من مختلف الطوائف ولا سيما تلك التي لا تمتلك اي دار للعبادة مثل السريان والارمن ، وبهذا كتب السائح تافرنييه ما نصه " ... **الارمن واليعاقبة ليس لهم كنيسة ، بل يصلون في كنيسة الكبوشيين الذين يقيمون لهم الشعائر الدينية** ..." ، وكان للنصارى على بعد ربع فرسخ مكان للعبادة باسم (خضر الياس)، وكانوا يدفعون مبالغ زهيدة للأتراك مقابل السماح لهم بالعبادة هناك، وعلى بعد يومين من المدينة يوجد هنالك مكان للعبادة يقع في خربة داخل قرية حقيرة – حسب قوله -، ويقول النصارى ان مار شمعون ومار يهوذا قد دفنا في فيها. وفي المدينة عدد من اليهود يذهبون كل سنة لزيارة مرقد النبي حزقيال في الحلة، والذي يبعد يوم ونصف عن بغداد.[58]

ووصف الرحالة الايطالي (اوربانو جري) اوضاع المسيح في بغداد بقوله " ... والسريان والارمن الذين دانوا بالكثلكة فانهم يترددون الى تلك الكنيسة، ويتلقى اولادهم التثقيف عندهم، وعدد المؤمنين في بغداد كثير جدا".[59]

لم يستمر اضطهاد المسيحين طويلا في بغداد، فيذكر الرحالة سبيستياني ان الوالي محمد الخاصكي بعد ان ظهر له مظلوميتهم وحسن سلوكهم اشترى لنصارى بيتا جديدا احسن من السابق وجعل من الطابق الارضي معبدا لهم . فعادوا اليه فرحين .[60]

وبهذا الخصوص يذكر لونكريك التسامح الديني في بغداد اذ قال " وقد عاش النصارى واليهود في ظل نظام كان التساهل فيه يزيد على ما كان منه في الولايات الاخرى، فان بغداد كانت عالمية (والمذاهب الاسلامية نفسها مفترقة جدا) الى حد انها لا تشجع شيوع التعصب، يضاف الى ذلك ان هذه الاقليات كانت تسلك سلوكا حسنا، كما كان الناس قد الفوهم نظرا لطول اقامتهم ولعدم وجود ما يمنع اختلاطهم بباقي السكان..." .[61]

رغم التضييق الذي مارسه الولاة على المسيحيين في بغداد، لم يمنع الناس والاقليات الاخرى من مخالطتهم والتعايش معهم، فكلام لونكريك "... ولعدم وجود ما يمنع اختلاطهم بباقي السكان" يؤيد ما ذهبنا اليه، فالسلطة شيء والسكان شيء اخر، فلا الرحالة سيبستياني ولا الاباء المعاصرين الذين كتبوا عن تاريخ النصارى في العراق امثال الاب سهيل قاشا تحدثوا عن اي تضييق شعبي على المسيح او الاقليات الاخرى في بغداد، وهذا بحد ذاته صفة عليا للتعايش الديني في المدينة.

### ثالثا: رحلة ليوناردو الكرملي 1733.

تحسنت اوضاع الاقليات الدينية في بغداد على مدى السنوات التالية من رحلة سبيستياني ، فخلال رحلة ليوناردو الكرملي كانت الاقليات الدينية ولاسيما المسيحية تلاقي معاملة حسنة من السلطات العثمانية واهالي بغداد، اذ حاول الرحالة ان يصف مدينة بغداد واحداثها وابرز شخصياتها واقلياتها من خلال رحلته ، كما وصف حالات الصراع العثمانية والفارسية وحصار بغداد ، ويذكر الاب الكرملي من ضمن حالات لتعايش في بغداد انه في عام 1739 قام شاب مسيحي بطعن اخيه حتى الموت وعندما حاولت امهم منعه اقدم على طعنها ، ولما سمع جيرانه المسلمين بذلك هرعوا الي بيت المسيحي فأوقفوه وهرعوا الى الكنيسة لدعوة الاب لياندرو الكرملي لتطبيب الام وانقاذ حياتها.[62]

تظهر هذه الحادثة مدى تلاحم اهالي بغداد وتعايشهم، اذ لم يسمحوا لذلك المسيحي باستكمال جريمته وهرعوا لمساعدة تلك الام لغرض انقاذ حياتها.

كان المسيح في بغداد يحضون بمكانة جيدة عند الوالي (احمد باشا) فقد ذكر ليوناردو الكرملي ذلك في مواضع عدة، فقد استعان الوالي بالأب الكرملي أكثر من مرة لمعالجة اهل بيته ومعالجته شخصيا، وقد حدث ان شفى على يديه الوالي واخته وابنته من امراض كثيرة كانت تلازمهم.[63]

ذكر الاب الكرملي ان بغداد خلال حكم احمد باشا قد نعمت بالأمن والامان وشعر المسلمون والمسيحيون بالسلام والتعايش والمحبة،[64] نتيجة لذلك أصدر الوالي احمد باشا قرار اذاعه حاجبه امين جاويش بالقرب من جامع الخلفاء بحضور 52 شخصية من مختلف اهالي بغداد، فقرا على

مسامعهم الاوامر الصادرة من الصدر الاعظم والوالي، والمتضمنة انزال عقوبة الموت ومصادرة الاموال على كل من يتجرأ ويمنع بأي طريقة المسيحين بمختلف طوائفهم من اتيان الكنيسة او ممارسة طقوسهم الخاصة.[65]

لم تكتف السلطات في بغداد بالسماح للمسيحين بممارسة شعائرهم الدينية فقط، بل سمحت لهم عام 1731 ببناء كنيسة خاصة للرهبان الكرمليين، وكانوا قبل ذلك يذهبون خفية لإحدى البيوت لممارسة شعائرهم الدينية، واستمرت تلك الظروف من عام 1628 حتى عام 1730، عندما عين الاب عمانوئيل من (كنيسة سانت ألبرت للرهبان الكرمليين) أسقفا لبغداد وقنصلا عاما لفرنسا فيها، وقدم الاخير التماسات عدة لحاكم بغداد احمد باشا لغرض بناء كنيسة خاصة بهم، عند ذلك أصدر الحاكم امرا بذلك، واقيم اول قداس فيها بتاريخ 14 تموز 1731.[66]

عمل الاباء الكرمليون وعلى راسهم الاب بابيه عام 1731 على شراء دارا في سوق الغزل كانت نواة لدير الكرمليين في بغداد،[67] وقد فتح معبدا هناك على اسم مار توما رسول الشرق، ثم فتح مدرسة للأولاد عام 1737، وهي النواة الاولى لمدرسة القديس يوسف الكائنة في (عقد النصارى).[68]

نتيجة لذلك نمت الحركة الدينية المسيحية في بغداد وارسلت العوائل المسيحية ابنائها للتعلم في مدارس الكنيسة،[69] واقامة الشعائر الدينية بحرية كاملة.[70]

اما اليهود فكانت حقوقهم محفوظة ايضا ومعابدهم مفتوحة للزائرين والعابدين ، فالأقلية اليهودية في بغداد كانت تربطهم علاقة قوية بمرقد نيي الله ذو الكفل احد انبياء اليهود ، وكان مرقده مزارا لمختلف الطواف الدينية، ويذكر الرحالة ليوناردو الكرملي قصة زيارته لذلك المرقد بقوله

**"واتتني في تلك الايام فرصة الذهاب لزيارة ضريح النبي ذو الكفل ... وبعد سير خمسة عشر ساعة وصلنا الى الحلة ... ففي هذه المدينة شرع الرابي اشي ase المشهور بكتابة التلمود البابلي ، وبالكاد استطاع ان يدون 35 كتابا اذ حال الموت دون ذلك فاكمل تلاميذه العمل من بعده"**.[71]

تعرضت بغداد لهجوم صفوي بقيادة نادر قلي[72] في كانون الاول 1732، اذ فرض حصارا شديدا على المدينة استمر حتى تموز 1733، وكان الجيش الفارسي قد نزل بالقرب من قصبة الامام الاعظم في بغداد، لكن التحصينات القوية للمدينة وثبات المقاومين حال دون اقتحام المدينة، وخلال ذلك عانى اهالي بغداد من الجوع والاوبئة، فقد اكل الناس لحوم الجيف والكلاب والقطط، ومما زاد الامر سوءا هو امر احمد باشا اهالي بغداد بالانتقال من الكرخ الى الرصافة كي يحتموا بأسوارها المنيعة مما تسبب باكتظاظ الجانب الايسر للمدينة بالسكان وتزاحمهم وقلة مؤنهم ، وكادت المدينة ان تشرف على الموت لولا قدوم التعزيزات العثمانية بقيادة طوبال عثمان باشا، الذي التقى بجيش نادر قلي بالقرب من سامراء واشتبكا لتسع ساعات متواصلة انتهت بهزيمة الجيش الصفوي ومقتل 30 الف مقاتل ، ما دفع نادر قلي لسحب قواته والهروب باتجاه بلاد فارس.[73]

وبعد نهاية حصار بغداد كان الفرس يملكون عدد ليس بقليل من العبيد المسيحين الذي جرى اسرهم في العراق، وكان الفرس يبيعونهم بأبخس الاثمان، ويجري احيانا التبادل بهم لقاء افراس او حيوانات اخرى او اشياء مختلفة، اما الذين اشتروهم فهم يطالبون مبالغ عالية مقابل افتدائهم، ولما علم والي وقاضي بغداد بذلك رفضوا ان يباع المسيحيون كعبيد، كونهم مواطنين لهم نفس حقوق المسلمين، لذا حرر 28 مسيحيا واعيدوا الى ذويهم .[74]

ان هذه الحادثة مهمة جدا في ايضاح التعامل الاخلاقي من السلطة العثمانية (المملوكية) في بغداد مع رعاياها دون التمييز بين احد منهم، فقد ساووا بين المسلمين والمسيحيين بصفتهم مواطنين لا يميزهم الدين او الانتماء ، وهذه تحسب ايجابا للسلطة المملوكية خلال مدة احمد باشا في بغداد، كما تعكس حالة الاحترام الكبير للأقليات الدينية في المدينة كما، تعطينا صورة واضحة على الانفتاح الديني للسلطة والذي انعكس ايجابا على علاقات الناس انفسهم، وكان ذلك قد تبين من خلال وضع قوانين خاصة لحماية الاقليات ودور عبادتهم وكنا قد اشرنا لذلك سلفا.

### رابعا: رحلة نيبور 1766.

يعد الرحالة كارستن نيبور واحد من الرحالة المهمين الذين زاروا العراق خلال القرن الثامن عشر ، فقد قدم وصفا للعراق ومجتمعه ووضع ولاته وسياساتهم ، لكن في حدود موضوع بحثنا لم يقدم نيبور صورة واضحة عن الاقليات الدينية في بغداد وعلاقاتهم المجتمعية ما عدا بعض الاشارات الى الرهبان الكراملة اذ قال "**وفي بغداد راهبان من رهبان الكراملة لاحدهما لقبان من القاب الشرف ، وهو المطران النائب عن البابا في بابل، وقنصل فرنسا، وهو محبوب عند المسلمين كحبه عند النصارى ... وهم ايضا مبشرون داعون الى النصرانية، يدعون النصارى المشرقيين ليبايعوا البابا رئيس النصرانية، ولا يدعون المسلمين اليها، لانهم ان حاولوا ذلك قتلوا لا محالة... وفي بغداد الكثير من اليهود وليس فيهم من البانيان[75] قط**"[76]

وفي حديث نيبور اشارة واضحة الى العلاقات الحسنة بين المسلمين والمسيحيين في بغداد، فحب المسلمون للمطران دلالة على حسن العلاقات

بين الطرفين، كما ان المسلمين لم يعادوهم لأنهم لم يسيئوا لدينهم او يبشروا بدينهم على حساب الديانة الاسلامية، ويبدو ان الامر كان ممنوعا عليهم.

## خامسا: رحلة اوليفييه 1796.

ذكر الرحالة اوليفييه الذي زار بغداد عام 1796 التسامح الديني الكبير عند اهالها، وتحدث عن ظرافتهم وحبهم لبعضهم فقال "وان سكان بغداد كانوا أكثر حلما في طباعهم من سائر سكان المدن الاخرى، فتعصبهم الديني لا يخلو من التسامح، ولم يؤد الحسد عندهم الى ظلم كبير...".[77]

## سادسا: رحلة جاكسون 1797.

وذكر الرحالة جاكسون الذي زار بغداد عام 1797، ان بعض الارمن كانوا يديرون عمل القنصليات الاجنبية، فالإنكليز ليس لديهم قنصل في بغداد ويدير اعمالهم أحد الارمن وهو (خوجة مايكل)،[78] وتبين من ذلك

ان الاقليات في بغداد لم تحصل على حقوقها فقط بل كانوا يمارسون مهام ادارية في القنصليات الاجنبية.

**سابعا: رحلة دوبريه 1807.**

ذكر الرحالة دوبريه الذي زار بغداد عام 1807 ان عدد سكان بغداد قل بصورة كبيرة عام 1773 بسبب مرض الطاعون الذي اصاب سكان المدينة، حيث قضى على ثلثي سكانها، فقال ان عدد سكانها حتى تلك المدة بلغ 76 الف نسمة ، وزعوا بواقع 15،222اسرة ، منها 112 اسرة ارمنية و 90 كلدانية ، و2000 يهودية، و13 الف اسرة من العرب والفرس ، و6 عائلات اوربية من اليونانيين.[79] وبسبب هذا الوباء لقي الاباء الكرمليون حتفهم الواحد بعد الاخر، مما تسبب بغلق كنيستهم في بغداد التي لم تفتح حتى نهاية القرن التاسع عشر وتحديدا عام 1888.[80]

حاول دوبريه ان يصف نساء المدينة وعاداتهم وتقاليدهم، اذ وجدوا ان عادات الشعب قد تكون واحدة ما يجري على الاكثرية يجري على الاقلية، فنساء اليهود والنصارى لهن نفس عادات المسلمات من حيث اللباس والحشمة، فكل نساء بغداد لا يخرجن الا بعد ان يرتدين الحجاب، وقد يحظى رجال الدين الارمن برؤية الارمنيات في حين لا يحب لغيرهم ذلك .[81]

ويذكر دوبريه ان بغداد كانت تضم مختلف الملل والمذاهب، فللكاثوليك مصلى يقوم على خدمة الاباء الكرمليون الذين يخضعون لمجمع الاعيان في روما اما الارمن يخضعون لبطريرك يرفان وقد ابدى الرحال اعجابه الكبير بحالة الانفتاح الديني والتعايش الديني في بغداد فيذكر ذلك بقوله " **تعبر ولاية بغداد الوحيدة في الإمبراطورية العثمانية التي يلقى فيها**

**المسيحيون واليهود اقل المضايقات ، فهم يتمتعون بحرية تامة ، ويسمح لهم ان يلبسوا الاحذية الصفراء التي هي ممنوعة عليهم صراحة في ارجاء البلاد التركية كافة ...**" .[82]

ان اعتراف الرحالة دوبريه ان الاقليات في بغداد تتمتع بحرية تامة أكثر من اي منطقة في الولاية العثمانية هو اعتراف مهم على ان التعايش في بغداد يختلف عنه في اي منطقة اخرى، وقد جاء رأيه هذا بعد ان زار اغلب مناطق الدولة العثمانية، وعلى ما يبدو ان فترة المماليك واستقلالهم الشبة تام عن الدولة العثمانية اتاح لهم حرية تصرف والانفتاح مع الاقليات في بغداد.

ووصف دوبريه المذاهب الاسلامية في بغداد وعدم وقوفه على الاقليات فقط، فقد ذكر ان المذهب السائد للدولة هو المذهب السني لكن ثلاثة ارباع السكان من المذهب الشيعي، لكن رغم ذلك فهو يوشر انه رغم ان الدولة اعطت حقوق اقليات الدينية وسمحت لهم بفتح دور عبادتهم لكنها بالطرف المقابل منعوا الشيعة من ان يشيدوا اماكن عبادة خاصة لهم - واستثنى من ذلك اضرحة الائمة في سامراء والنجف وكربلاء- او ان يمارسوا طقوسهم بصورة علنية .[83]

## ثامنا: رحلة المنشي البغدادي 1822.

كما وصف المنشي البغدادي مدينة بغداد بعد زيارتها عام 1822، فذكر ان المدينة كانت تحوي على مائة ألف بيت تقريبا، وضمت مختلف الملل والمذاهب، ففيها من الاقليات الدينية عدد غير قليل، فهي تضم 1500 بيت لليهود و 800 بيت للنصارى كما تضم 3000 بيت من العجم وهم من الشيعة الاخبارية.[84]

ان اعداد بيوت الاقليات حتى زيارة المنشي كانت كثيرة وهذا الكثرة يدل على التسامح مع الاقليات واعطاهم حقوقهم، فلوكان عكس ذلك للمسنا قلة عددهم وزيادة هجرتهم او لذكر الرحالة ذلك.

## تاسعا: رحلة فريزر 1834.

زار الرحالة فريزر العراق عام 1834 ، وقدم وصفا لبغداد، فهو لم يكتف بذكر عمارتها واسواقها ، بل ذكر احوال اهالي بغداد وطوائفهم الدينية وطرق تعايشهم وحياتهم ، فقد قال " ... **ان مدينة بغداد مدينة منفتحة دينيا فلا يكن المسلمون فيها العداء لبقية الطوائف ..." وقد اشار الرحالة الى التسامح الاسلامي لاسيما بعد السماح له بدخول جامع الخلفاء والصعود الى منارته والتجول فيه ، حيث قال " ... ويعد هذا الحوض اعلى نقطة يمكن الارتقاء اليها ومشاهدة منظر المدينة العام منها، وهو بشكل عام يشرف على معظم السطوح والساحات لمسافة طويلة من حوله ، وقد استغربت حقا ان اجد ان كفارا مثلنا يسمح لهم بالصعود الى ارتفاع يتفرجون منه على المسلمين...".** [85]

يبدو ان الرحالة فريزر حاول ان يصف احوال المسلمين في بغداد، وطريقة تعاملهم مع الاجانب لاسيما من الديانات الاخرى ، فهو مدح وذم، فقد مدحهم عندما سمحوا له بدخول المسجد والتجوال به ، وذلك بحد ذاته منقبة لمسلمي بغداد ، لكنه حاول ان يذمهم عندما قال " **وقد استغربت حقا ان اجد ان كفارا مثلنا يسمح لهم ...**" فهو يؤشر ان المسلمين يعتبرون المسيحيون كفارا ، وهذا بحد ذاته مغالطة كبرى وعدم فهم للدين الاسلامي، فالأخير يعتبرهم اهل كتاب وهؤلاء ليسوا كفارا بالشريعة الاسلامية ، كما ان سماحهم له بدخول المسجد والتجوال فيه خير دليل على ذلك .

واشار الرحالة الى ان المسلمين فقط كان لهم حق امتلاك العبيد وليس لليهود او النصارى الحق في ذلك ، ولا يحق لهم ركوب الخيل والدواب الاخرى في الشوارع.[86]

ان اشارة الرحالة تلك لا تتعلق بقوانين مجتمعية مفروضة على غير المسلمين ، بل هي مجموعة قوانين وضعتها الدولة العثمانية على الاقليات الدينية وليس لأهالي بغداد دخل فيها، لكن الرحالة لم يتطرق الى تلك القوانين الحكومية بل حاول ان يظهر بشيء من الريبة ان تلك القوانين هي مجتمعية وتهدف للتمييز الديني، وهذه الرؤية كانت مشبعة بعقول الكثير من الرحالة حتى قدومهم للشرق ووصفهم للتعايش فيه.

## المبحث الثالث

## التعايش الديني في بغداد كما وصفها الرحالة الاجانب بعد الاصلاحات العثمانية

مع ازدياد حدة التدخل الاجنبي في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية بحجة حماية الاقليات الدينية، لجأت الدولة العثمانية الى اصدار مجموعة من القوانين التي اكدت من خلالها على احترام حقوق الاقليات الدينية، وهذه القوانين هي (مرسوم كولخانة) 1839، ومرسوم (همايون) 1856، اذ أكد المرسومان على مساواة جميع الرعايا العثمانيين امام القانون، ومنحت الاقليتان (المسيحية واليهودية) حق الاشراف على امورهم الدينية وادارة امورهم الدينية ومؤسساتهم التعليمية، كما منح رؤسائهم امتيازات خاصة.[87]

لم تكتف الدولة العثمانية بإعطاء رؤساء الطوائف حقوق استثنائية ، لكنها تدخلت لتنظيم العلاقة بين الطوائف ضمن الدين الواحد، وارادت بذلك قطع الطريق على الدول الاجنبية للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية بحجة حماية الاقليات او المذاهب المتصارعة ، ففي عام 1839 اصدر السلطان عبد المجيد الاول[88] ارادة سنية تقضي بحل النزاعات بين اي طائفتين عن طريق اجتماع رؤساء الطائفتين في مكان تحدده الدولة، ويبت في ذلك النزاع عن طريق مجلس الاحكام العدلية ، وبحضور زعيمي الطائفتين المتنازعتين، وكانت الدولة تتدخل لحل المشكلات العالقة.[89] لذا انعكست النتيجة الايجابية لتلك الاصلاحات

على حال الاقليات في بغداد مما جاء في ذكر الرحالة الاجانب الذين زاروا المدينة خلال تلك المدة.

## اولا: رحلة بنيامين التطلي الثاني.

وصف الرحالة بنيامين التطلي الثاني[90] في رحلته الى الشرق (1846-1851) اوضاع يهود العراق وحرية معيشتهم وتجارتهم، فقال "ان نفوس اليهود في بغداد بحدود ثلاثة الاف عائلة، بينهم التجار والصناعيون والاغنياء، يساهمون في تقدم التجارة وفعاليات رئيسة اخرى، ...، تجد تجارا من الدرجة الاولى من اليهود المنتشرين في جميع انحاء البلاد في كل مرافق الحياة، وفي مناطق بعيدة واقطار مختلفة مستخدمين المنافسة الحرة في التعامل مع الناس ...".[91]

نجد في كلام بنيامين ان اعداد اليهود في بغداد بلغ 3000 عائلة اي زيادة بنسبة 100% عن ما ذكره الرحالة المنشي البغدادي وهذه الزيادة لا تتحقق خلال الفترة القصيرة بين الرحلتين اذ لم تمض بينهما اكثر من 24 سنة، لذا يمكن ان نعزو الزيادة الحاصلة (ان صحت) بسبب الهجرات الى العراق من ارجاء الامبراطورية فضلا عن الزيادة الطبيعية البيولوجية للسكان على الرغم من ان ذلك لا يعدو ان يكون تخمينا لعدم وجود تعداد رسمي للسكان آنذاك.

كما ذكر عالم الاثار الفرنسي اوبرت (Oppert) الذي عاش فترة غير قليلة في العراق خلال خمسينيات القرن التاسع عشر ما نصه " ليس هناك بلاد اخرى تتمتع فيها العقيدة الكاثوليكية بمثل ما تتمتع به في بلاد الدولة العثمانية الاسيوية، ولا توجد هناك اي قوانين تحد من القيام بالطقوس الدينية او تهدد ممتلكات الكنيسة وانه ليس في بغداد اضطهاد ديني".[92]

ويشير الرحالة جونز الذي زار بغداد عام 1853 الى تسامح البغداديين بقوله " يوزع اهالي بغداد في محلات منفصلة، ويعيش النصارى واليهود بحرية تامة، وبإمكانهم ركوب الدواب داخل المدينة ...، والسكان وادعون وليس هناك من مظاهر للتعصب الديني، فاليهودي والنصراني يلقى التسامح ويتمتع بحصانة لا يجدها في اي مكان اخر".[93]

يتضح من كلام جونز كيف تغيرت احوال الاقليات في بغداد، وكيف اسهمت القوانين العثمانية في اعطاء الاقليات حقوقها، ففي وقت كان لا يسمح لهم بركوب الدواب او لبس زيهم الخاص، صاروا يتمتعون عام 1853 بحرية لا يتمتع بها غيرهم في مناطق اخرى من الدولة العثمانية.

### ثانيا : رحلة اينهولت. 1866

قدم الرحالة الهولندي اينهولت وصفا شاملا ودقيقا لبغداد وسكانها وعاداتهم وطقوسهم وازيائهم وغير ذلك، فبغداد بحسب اينهولت كانت تضم اعدادا كبيرة من التجار العرب والعجم والكرد والهنود والكرج والارمن واليهود ،وهم يختلفون من حيث الملبس[94] وطريقة العيش، اذ كانت المدينة مقسمة الى اربعة اقسام هي محلة الميدان التركية ومحلة المسلمين واخريتين لليهود والنصارى.[95]

ينفرد الرحالة اينهولت بتقسيم احياء بغداد على اساس ديني ، فلم يشير الى ذلك اي من الرحالة والكتاب الذين كتبوا عنها ، فالبغداديون اعتادوا على العيش متجاورين مختلطين ، ولم تقسم بغداد على اسس دينة طيلة تاريخا ، فحتى المناطق ذات الاغلبية الدينية (لدين معين) لم تكن تخلوا من اصحاب الديانات الاخرى ، لكن يمكن استثناء المناطق ذات القدسية الدينية من ذلك .

كان اغلب البغداديون يشاركون بعضهم في العزاء، فالمسلمون يحرصون على زيارة اصدقائهم وجيرانهم من الطوائف الاخرى لتقديم التعازي ، واشار اينهولت لذلك بقوله " **اما المسيحيون فيذهبون في الصباح الى الكنيسة للصلاة على روح المتوفى ... وعند دخول المعزين الى الدار لإداء مراسم التعزية يقرا المسلمون (الفاتحة) والمسيحيون (ابانا الذي في السماء) ، ويجتمع الناس للعزاء ايضا في يوم السابع وفي الاربعين ، ويستمر الحزن سنة واحدة يراعيها اهل المتوفي بدقة بالغة ولا سيما بين الموسويين والمسيحيين، اما المسلمون فلا يلبسون الحداد بتلك الدقة البالغة ، والكثير من نسائهم لا ينتظرن انقضاء الحول لرفعه**".[96]

يبدو ان العادات والتقاليد تداخلت بصورة كبيرة بين العراقيين بمختلف دياناتهم، فالمسلمون بحسب كلام اينهولت لم يكونوا يلزموا الحداد على روح المتوفي لمدة سنة كاملة ، واشار الى انها عادة يهودية نصرانية ، لكن نجد ان تلك العادة اصبحت جزءاً من الموروث الاجتماعي لأغلب المسلمين في العراق حتى الوقت الحاضر، ويبدوا ان تلك العادة هي عادة مكتسبة من الموروث اليهودي والمسيحي ، وبما ان العادات هي حصيلة اولية للتعايش والاختلاط لذا يمكن ان نقول ان العادات الدينية قد امتزجت بالموروث الشعبي واصبحت جزءا اساسيا من تراث الامة ، وان دل ذلك على شيء فهو يدل على ان الاقليات بحكم اختلاطها وتعايشها اصبحت تتبادل الموروثات الشعبية والعادات المتداولة.

يورد اينهولت مجموعة من العادات والتقاليد التي يتشارك بها اهالي بغداد على اختلاف عقائدهم ودياناتهم ، وعدها من الخرافات والتقاليد غير المنطقية التي اعتاد الناس عليها وتوارثوها من جيل لآخر ، فمثلا اذا سافر احدهم الى مكان ما فيجب ان لا تكنس داره الا بعد التأكد من عبوره نهرا

او جدولا كبيرا لان ذلك الفعل يضره بصورة كبيرة ، وبدوره يجب ان يحضر مجموعة من الهدايا (الصوغة) لأصدقائه عند العودة ، فيما يعتقد الكثير من الناس ان سبب نحسهم او مصائبهم هي عتب دكاكينهم او بيوتهم فهي تصيبهم بالإفلاس او المرض ، وهم يؤمنون بايام السعد والنحس ، فهناك في كل شهر سبعة ايام للنحس ويسمونها الكوامل وهي ( 3 ،5، 13، 16 ، 21 ، 23 ، 25 ) ففي هذه الايام يمتنع الناس من السفر ومباشرة الاعمال التجارية والاتيان بالمناسبات العائلية ، ويعتبر يوم الجمعة من الايام التي لا يقص بها الاظافر خوفا من الامراض ، ويعملون على سكب الماء بعد المسافر لضمان عودته سالما ، اما شهر محرم وصفر فلا يعقد بهما الزواج لكره ذلك عند الشيعة المسلمين ، وفي اخر اربعاء من شهر صفر يعمل الناس على كسر الجرار والصحون ومواعين الخزف لإبعاد نحس ذلك الشهر، اما اهالي المرضى فهم يتعرفون على مصير مريضهم فيما اذا كان سيموت او يبرا من مرضه من خلال قيامهم برمي فحم مضطرم امام داره يوم الجمعة ، ثم ينصتون الى اول كلام يصدر من المارة ، فاذا كان طيبا شفي المريض واذا كان سيئا عرف انه سوف يموت ، وتسمى هذه العملية (حجارة الدرب) ، ومن العادات الاخرى ان لا يمر الرجل بين امرأتين لان بينهما شيطان ، واذا مرت المرأة بين رجلين فان زوجة احداهما سوف تموت حتما.[97]

اشار اينهولت ان مسيحيي بغداد لم يمارسوا طقوسهم الدينية بحرية كاملة فقط ، بل شيدوا بالإضافة لدور العبادة (الكنائس) تماثيل للسيدة مريم العذراء ، فقد حاولوا ان يقلدوا التماثيل الكبيرة في اوروبا ، وفي مدينة مرسيليا تحديدا حيث تمثال السيدة العذراء المرفوع على صخرة بري ، وكذلك في مدينة ليون . فقد عمل احد القساوسة الكرمليين وهو الاب (ماري جوزيف) على شراء تمثال من البرونز للسيدة العذراء وجاء به الى

بغداد ، وقد بحث على اعلى قمة لرفع ذلك التمثال ، ولما لم يجد ذلك المكان قرر ان ينقله الى بابل ويضعه فوق برج بابل ، واعلن نيته تلك خلال قداس يوم الاحد وطلب من الناس السير معه لنصب التمثال ، وكان له ما اراد وسار معه عدد من مسيحيي بغداد وتم وضعه في المكان المحدد بعد ان نصبت له قاعدة كبيرة فوق تل شاهق لا يقل ارتفاعه عن 150 قدم ، وخلال ذلك تعالت اصوات مسيحيي بغداد بالأناشيد المقدسة التي رددوها بأصوات عالية ، لكن لسوء الحظ ان فرحة الاباء الكرمليين لم تستمر طويلا، فقد وصلت الانباء ان التمثال قد سيطر عليه بعض الاعراب في المنطقة ، ونتيجة لذلك قرر الاب ان يستعيد التمثال ، فارسل لهم مندوبا عنه ليحقق ذلك الغرض ، وبعد وصول مندوبه اكدوا له انهم وجدوا التمثال مرميا في سفح التل وان سبب سقوطه هي الريح الشديدة ، وعليه حمل الاعراب ذلك التمثال الى بغداد حيث كنيسة الاباء الكرمليين ، فعمل الاب على تكريم اولئك الاعراب بمبلغ من المال، وقد وضع تمثال السيدة العذراء في مقر الكنيسة واطلق عليه لقب (سيدة بابل).[98]

ان حادثة تمثال السيدة العذراء ورفعه فوق برج بابل له دلالات عدة هي:

1- ان ذلك الفعل يعد الاول من نوعه في العراق، فلم تقدم قبل ذلك اي كنيسة على رفع تمثال مثله فوق بناء شاهق في ارض غالبية سكانها من المسلمين.
2- يظهر ذلك مدى احترام الولاة العثمانيين واهالي بغداد والحلة للعادات الدينية المسيحية وتفهمهم لها.
3- ان فعل الاعراب يعد فعلا مهما يبين حالة التفاهم والتعايش وعدم التعصب بين الاديان، ففي الوقت الذي تقوم به كنيسة مسيحية بنصب تمثال للسيدة العذراء وسقوطه بسبب الرياح، تقوم الاعراب

بالاحتفاظ بذلك التمثال وعدم الاساءة اليه واعادته الى كنيسة الكرملين ، وذلك الفعل يدل على مدى الاحترام والتعايش بين ابناء المجتمع الواحد، والتفهم الكبير لمعتقدات الاقليات في العراق.

### ثالثا: رحلة بيري فوك 1875

كانت اعداد المسيح واليهود في تزايد مستمر (لا سيما بعد رحلة اينهولت) وكانوا يتمتعون بكافة حقوقهم المدنية والدينية، فقد وصف الرحالة بيري فوك احوال المسيح في بغداد بعد زيارته لها عام 1875 بقوله " **في صباح كل يوم احد تجرى الخدمة الكنائسية الانكليزية يقوم بها الكولونيل هربرت في المقيمية ، ولا يتجاوز عدد المصلين العشرين وهم جميع سكان البروتوستانت في بغداد تقريبا ، وقد زرت مختلف الكنائس المسيحية في بغداد ... وقد دخلنا اول الامر الى كنيسة اللاتين الكاثوليكية ولها ملحق متصل بها ، اتخذته مدرسة للأولاد ...، والقسيسون الفرنسيون ورعيتهم تتكون من عدد قليل من المقيمين في بغداد من البلدان الكاثوليكية في اوروبا وقسم من هؤلاء تزوجوا من نساء بغداديات... ثم ذهبنا الى كنيسة الكلدان وكنيسة الارمن وكنيسة الارمن الارثدوكس، تشمل عددا من اقدم العائلات المسيحية واغناها، والكنائس الاخرى لهذا العنصر القديم تعترف برئاسة (البابا) الروحية ويدخل معهم تحت سلطته قسم كبير من السكان الكلدان والقبط** ...".[99] وقال ايضا "ان نصارى بغداد يمارسون عباداتهم بحرية تامة وهذا الشيء تميزت به بغداد منذ القدم"[100]

كما وصف الرحالة العوائل اليهودية في بغداد وعلاقتهم الحسنة مع الاقلية المسيحية وحسن كرمهم بقوله " ... وبعدما تركنا المطران المسيحي، ذهبنا الى دار شخص من اغنياء اليهود ، وتعارفت مع كافة افراد العائلة، من

الجد الى اصغر الاولاد ، وصافحتهم واحدا واحدا، وقد كانوا على جانب من الرقة وحسن الضيافة..."، كما خمن عددهم وذكر مهنهم بقوله " يبلغ عدد السكان اليهود في بغداد العشرين الف نسمه، ومنهم – كما هم في كل مكان – الصرافون والدلالون والمستخدمون الموثوق بهم من قبل كافة الطبقات في تبادل النقود في البلد، وغناهم العظيم، الذي كان في السابق مبعث على سرقتهم واضطهادهم، ولكنه الان يدعو الى احترامهم حتى من قبل الاتراك والمسلمين المتعصبين ".[101]

ان كلام الرحالة يشير الى زيادة كبيرة في اعداد المسيحين في بغداد ، وزيادة في عدد الكنائس الموجودة لتعدد المذاهب الوافدة الى المدينة ،وان تلك الزيادة تنم عن حالة ايجابية من التسامح والانفتاح الديني، اما كلامه عن الاقلية اليهودية واضطهادهم فهو مجانب للحقيقة ، فالتضييق على الاقليات كان من قبل السلطة الحاكمة وليس الاقليات الاخرى والتضييق عليهم لم يكن بمنأى عن التضييق عن بقية الاقليات ، بل على العكس من ذلك ان هذه الاقلية كانت الاقل اضطهادا خلال حقبة السيطرة الصفوية ، اما بعد ذلك فان الدولة العثمانية كانت تفرض عليهم والاقليات الاخرى رسوما رمزية[102] (كجزية) تفرض على الشخص البالغ جزاء حمايتهم ، وقد مارس الجميع طقوسهم كأي اقلية في العراق.

وهكذا عاشت الاقليات في العراق تضطهدها سياسات السلطة تارة وتسامحها تارة اخرى، وعاشت مع الاكثرية المسلمة في جو من التسامح والمحبة بعيدا عن املاءات السلطة وقوانينها، فالعراق في تاريخه لم يخلو من اقلياته ولم يفقد الاكثرية اعتدالهم وتسامحهم.

## الاستنتاجات

يتبين من خلال ما ورد في البحث ان:

1- كانت بغداد اهم المدن العراقية من حيث تعايش الاقليات والاديان كونها ورثت فكر وثقافة ذلك التعايش من ارثها العراقي الضارب في التاريخ.

2- كانت الاقليات في بغداد تتعرض لبعض المضايقات الحكومية العثمانية من خلال فرض الجزية او منعهم من ممارسة حياتهم بصورة طبيعية اسوة بالمسلمين.

3- كانت اوضاع الاقليات الدينية قبل اعلان مرسومي كولخانة وهمايون يتعرضون للتمييز الحكومي ويحددون في اشياء كثيرة تصل في بعض الاحيان الى منعهم من ممارسة شعائرهم الدينية، كما حرموا من دخول وتشييد اماكن العبادة بحرية.

4- كانت حقبة المماليك في بغداد من أكثر الحقب تشديدا على الاقليات الدينية الا ما ندر (خلال مدة حكم احمد باشا)، فكل شيء كان يخضع لمزاج الوالي وحاشيته، لأن الوالي لم يكن لديه ارتباط مباشر بالدولة العثمانية بصورة مباشرة، بل كانت هنالك ادارة شبه مستقلة لبغداد.

5- استطاعت الاقليات من ممارسة طقوسها بحرية تامة بعد اعلان الاصلاحات العثمانية (كولخانة وهمايون)، فقد استطاعوا من تشييد الابنية الخاصة بهم وممارسة طقوسهم بحرية تامة، وصارت الدولة تعاملهم بصفتهم راعيا لها شانهم شان المسلمين.

6- كانت فكرة التعايش الديني حاضرة وبقوة في بغداد خلال الحقب الزمنية المختلفة، فالتشديد والانفتاح الحكومي كان يختلف عن التواصل والتعايش الشعبي، فالبغداديون لم يميزوا بين اقليات الاديان او يميزوهم بل تعايشوا معهم بحرية كاملة.

7- حرص الرحالة الاجانب على ذكر اوضاع مدينة بغداد بصورة عامة، وكان هنالك اشارات للتعايش الديني في كتاباتهم، فلم يرصد جل الرحالة حالات صراع وتنازع او تضييق ديني بين ابناء المجتمع البغدادي طيلة مدة البحث.

8- كانت الاقليات في بغداد تحظى بحرية واسعة تفتقر لها اغلب الاقليات في الدولة العثمانية، وحتى بعض الدول الاوربية، وقد اشار الى ذلك بعض الرحالة، وهذا مؤشر مهم وايجابي للتعايش الديني في بغداد بصورة خاصة والعراق بصورة عامة.

# الفصل الثاني

# التعايش الديني في مدينة الموصل من خلال كتب الرحالة الاجانب

## المبحث الاول

### الوصف الجغرافي والعمراني لمدينة الموصل في كتب الرحلات

تعد مدينة الموصل من المدن المهمة التي وفد اليها حالة الاجانب ووصفوا عمرانها وسكانها وتقاليدهم وتعايشهم، وتكمن اهمية مدينة الموصل لكونها مدينة تضم الاقليات الدينية لا سيما المسيح واليهود والاقليات الاخرى ، وقد وصف الرحالة جغرافية مدينة الموصل بصورة جيدة، فقد ذكرها الرحالة سبستياني بانها مدينة مسورة من جهتها الشمالية ويمر بها نهر دجلة، وبانها مدينة كبيرة ميزها عن مدينة نينوى القديمة، التي يحدد موقعها على الضفة الاخرى لنهر دجلة (يقصد الضفة اليسرى لنهر دجلة) وذكر ان الشاب طوبيا[103] الذي ذكر في العهد القديم حل بها، لكن تلك المدينة بحسب الرحالة اصابها الدمار والخراب لان الدولة العثمانية جاءت لتخرب وليس لتبني. ووصف الرحالة أطراف مدينة الموصل مثل حمام العليل ومياهه ومدينة جهينة الغنية بماده القار.[104]

حاول الرحالة تافرنييه ان يصف احوال اهالي الموصل وضواحيها- وكان قد الحق مدينة اورفا بها - واسماها عاصمة ما بين النهرين.[105] ووصف

الرحالة مدينة الموصل بانها مدينة تبدو في خارجها بشكل فخم ، فأسوارها مبنية من الحجر، لكنها من الداخل تكاد تكون عبارة عن خربة، فليس فيها سوى سوقين وقلعة صغيرة مطلة على نهر دجلة يقيم فيها الوالي، وقال: "**ليس في الموصل ما يستحق المشاهدة والالتفات**" واشار ان هذه البقعة ليست ذات اهمية غير كونها ملتقى للتجار العرب والكرد الذين يسكنون كردستان،[106] وقال انه ليس في الموصل سوى خانين بسيطين مكتظين بالمسافرين، واشار الرحالة ان مدينة نينوى القديمة كانت قد شيدت على الضفة اليسرى لنهر دجله وهي ليست غير اكواما من التراب، واشار الى قبر نبي الله يونس الذي وصف بانه مبني فوق تل على بعد نصف فرسخ من دجلة، وتحيط به عدد من البيوت المتناثرة، ومسجده جليل المكانة ولا يحق لنصراني دخوله الا على وجه خاص.[107]

كانت مناطق كردستان خاضعا في اغلب الاحيان الى والي الموصل،[108] وفي احيان اخرى لزعاماتها المحليين وتتبع احيان اخرى الى والي بغداد ، فقد ذكر الرحالة الهولندي ليونهارت راوولف (1573) ان الاكراد يعرفون قديما باسم كردوخي (Carduchi) ثم عرفوا باسم كردواني (Cardueni)، وكان لهم سياستهم وحكمهم الخاص لكنهم اخضعوا فيما بعد لحكم السلطان العثماني، وهم يتحدثون لغة خاصة لم نكن نفهمها فهي غريبة عن الفارسية والتركية ،[109] ووصفها الرحالة نيبور بانها مناطق وعرة جدا كثيرة الخيرات، تشتهر بأشجار البلوط والعفص وبالمن والقطن والارز والتبغ والعنب والتين والقز، وتتألف من قرى جولان التي يعين حاكمها من والي بغداد في اغلب الاحيان، واهلها اشداء يحبون الثار ولا ينامون على ظلم، وفيها ايضا منطقة شهرزور وهي قرية بين كويسنجق و كركوك، وهناك ايضا قرى سرداو و بازيان وميركه وزنكه واغجلر وقلع صغيرة تسمى

سردشت، وهذه المناطق تخضع لباشا جولان، اما الجزء الاخر من كردستان فهو يخضع لباشا اخر كردي الاصل (لم يذكر الرحالة اسمه) ويسكن كويسنجق التي تبعد عن اربيل مسيرة ثلاثة ايام ، وفيها قرى عديدة اهمها روش و موران ودووين، وهذه الاخيرة ربما كانت مسقط راس صلاح الدين الايوبي، وهناك قريه بلباس، وفضلا عن ذلك تضم كردستان مدينه راوندوز، اما الباشا الثالث فيسمى باشا درنه ويحكم في زهاو ويعين من والي بغداد ايضا، وهنالك عدد من المناطق لا تخضع لوالي بغداد وهي اما اكون مستقله استقلالا كاملا او ان تكون تدفع الجزية لباشوات المدن المجاورة لهم مثل مدينة العمادية التي يسمى حاكمها بهرام وهو من اسرة بلدي ناو ويتبعه عدد من القرى اهمها (العقر و زاخو وحكارى وبايزيد ).[110]

ويعرج الرحالة على ذكر مدينه اربيل ويصفها بانها كانت في السابق مدينة كبيرة تصل حدودها الى مدينة تبريز، وهي من المدن الإسلامية المهمة، اما خلال زيارته فهو يصفها بالمدينة الصغيرة التي لم يتبقى منها سوى قلعتها الشاخصة ومنارتها وبعض البيوت المتفرقة القديمة اسفلها، وليس في اربيل اثار شاخصة ما عدا جامعها الكبير وهو من اثار السلطان مظفر الدين كوبري، وهي تقع على خطي عرض 30 ، 11 .[111]

ويعرج الرحالة نيبور على ذكر مدينة الموصل ويحدد موقعها على الجانب الغربي لنهر دجلة قبالة نينوى القديمة ، على خطي عرض 36-20 درجة، ويدعى اليهود حسب قول الرحالة انها كانت تعرف قديما باسم اثور، وان اثنين من انبيائهم مدفونين فيها وهما (عباديا ويفتاح الجلعادي) ولم يتسنى للرحالة معرفة اصل التسمية او زمنها ، والمدينة من طريقها البري مسورة بسور قديم وقوي وضخم ، اما القسم الجنوبي الشرقي ففيها سور متقطع له ابراج وهو غير قديم ، والقسم الكبير من المدينة مهدم تغطيه

الانقاض ، اما الاخر فهو مزدحم بالسكان، اما عدد بيوتها فيقدر بين 20 الف بيت و24 الف بيت ويرى ان هذا العدد كبير جدا ،[112] وقد اشار الاب لانزا ان زيادة كبيرة طرأت على سكان المدينة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، واشار الى ان عددها ازداد خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر حيث قال " ... **ولقد حدثني المسنون من اهالي البلدة مرارا ان اهاليها كانوا اقل عددا من الان بنحو الثلث ... لجا اليها عدد كبير من العرب والاكراد والاتراك ومن نصارى القرى المجاورة** " .[113]

اما شوارعها وازقتها فهي ضيقة وغير منتظمة ، لكن تلك الشوارع معبدة وبيوتها مبنية بالجص والحجر، واكثرها مقببة ، وللمدينة ابواب عدة اهمها ( باب العمادية ، باب سنجار، باب البيض ، باب الجديد ، باب دمشق ، باب الطوب ، باب الجسر، ايج قلعة او القلعة الداخلية )، وفيها من الجوامع الاثرية ( الجامع الكبير ، وجامع جرجيس، والجامع الاحمر الذي شيده مجاهد الدين قيماز عام 576 ه ) وهنالك جامع يحيى بن القاسم (وهو من اعظم قسيسي النصارى ويعرفوه باسم يوحنا الازرقي) ، وفي المدينة 15 خان ياوي اليه الغرباء ، وفيها من المقاهي والحمامات والاسواق الشي الجميل.[114]

ووصف الرحالة اولفييه الاحوال الاجتماعية والجغرافية لمدينة الموصل ، حيث اشار ان المدينة تقع في سهل على الضفة الغربية لنهر دجلة ، وهي مدينة مهمة جدا من حيث الموقع، ولها اهمية في تجارة الشرق، واشار الى ان المدينة ذات قطر يتراوح حوالي 1300 خطوة هندسية بحسب ما ذكره الرحالة نيبور، وهي مدينة مسورة شانها بذلك شان المدن العثمانية آنذاك ، كما تحوي عدد من الابراج فضلا عن المواضع المحفورة حولها ، لكن

اسوار المدينة اهملت لا سيما بعد حملة نادر شاه، كما احرقت المدينة عام 1516 على يد والي ديار بكر محمد باشا.[115]

تضم المدينة جوامع جميلة، وفيها 15 خانا، فضلا عن الاسواق الجميلة المبهرة والحمامات والمقاهي ، اما الكنائس الموصلية فهي ذات هندسة وبناء جميلين ، والمدينة جيدة البناء لكن شوارعها ضيقة وغير معبدة.[116]

اما مناخ المدينة فهو حار جدا في فصل الصيف ومتقلب في الشتاء، وتعد الموصل من أعظم الاسواق التجارية في الشرق – حسب قوله- فاغلب تجارة الهند القادمة من جنوب العراق تمر منها الى الاستانة.[117]

اما الرحالة جاكسون فميز في رحلته بين مدينة الموصل ونينوى القديمة، والموصل حسب قوله مدينة جميلة تضم كثير من الابنية وفيها العديد من الحمامات والمساجد الجميلة التي بنيت من الحجارة المسقولة.[118]

ويصف الرحالة حرفيو المدينة بانهم صناع ماهرين، وهم اكثر اهتماما بالصناعة من أي منطقة اخرى، وفيها بعض الصناعات تتفوق على الصناعات الاوربية ، فهم يصنعون بحرفية عالية ( السروج وسجاد الحرير والمطرزات الثمينة للرجال والنساء ، وفيها ايضا مصانع للحديد والنحاس).[119]

توجد في المدينة – بحسب الرحالة- محكمة للعدل ، يمكث الجميع امامها بلا استثناء، والمحاكمات فيها غالبا ما تكون قصيرة ولا يستغرق عملها اكثر من خمس دقائق ، وهي تفتح عند شروق الشمس ولا يستمر عملها اكثر من ساعتين وذلك لسرعة انجاز اعمالها كما ذكرنا.[120]

يبدو ان الرحالة قد بالغ قليلا بوصفها بالمحكمة ، لكن يبدو في اغلب الظن انها دار للقضاء بين المتخاصمين في الاسواق، بدليل ان اغلب

الشكاوى الواردة فيها هي من النوع البسيط ، فالمشكلات المطروحة هي مشكلات تحل بطريقة سريعة وبسيطة في لا تستغرق – حسب الرحالة- اكثر من خمس دقائق ومجل عملها لا يستمر اكثر من ساعتين ، وهذا دليل على ان المشكلات المطروحة فيها ليست ذات ابعاد اجتماعية او جنائية ممن تستوجب العمل والتحقيق الطويل .

اما الرحالة دوبريه فيذكر ان مدينة الموصل تقع على الضفة الغربية لنهر دجلة عند حافة سهل واسع، ويقدر محيطها بنحو ثلاث فراسخ، وفي المدينة ابواب عدة هي :

1- باب الطوب .
2- باب البيض.
3- باب سنجار.
4- باب شط الحصى.
5- باب شط القلعة.
6- باب الشط.
7- باب شط المدرسة.
8- باب الجزيرة.

وللمدينة قلعة تقع شمالها وهي قلعة مسورة ، والمدينة لحق بها من الاذى ما لحق جراء الهجمات الخارجية التي تعرضت لها والفتن الداخلية التي ضربتها ، فهي تعرضت لغزو المغول وتيمورلنك فضلا عن حرب نادر شاه ، اما الفتن الداخلية فكانت تحدث ضد الوالي نفسه ، ويقوم بها اغلب الاحيان اقرباء الوالي وكان اخرها تلك التي قادها اسعد بيك احد ابناء عمومة الوالي نعمان باشا الجليلي.[121]

ويصف الرحالة جوامع مدينة الموصل ويقول ان عددها يبلغ حوالي عشرون جامعا ، ويقع احدها في وسط المدينة ، وله منارة مائلة كانها منارة برج بيزا المائل (( كان الرحالة يشير الى الجامع النوري )) ، وفي المدينة اثنا عشر خانا مشيدا بالحجارة ، اما عدد سكان المدينة فيقارب الخمسين الف نسمة ، بضمنهم نحو الفين وخمسمائة من طائفة السريان الكاثوليك، والفان وستمائة من اليعاقبة الارثدوكس ، وخمس الاف نسطوري وسبعمائة وخمسين يهودي ، اما الباقون فهم اتراك وعرب وكرد ، وليس في المدينة ارمن او روميين .[122]

عمل كثير من اهل الموصل في صبغ الاقمشة ، وتأتيهم تلك الاقمشة من الهند عن طريق البصرة مع منتجات اخرى مثل السكر والتوابل ، وتجهز المدينة ايضا بالأقمشة الصوفية والحديد والعقاقير من مدينة حلب، وتنقل البضائع اليها عن طريق الاكلاك.[123]

كما يشير الرحالة الى مدينة اربيل ويقول ان سكانها من الاكراد وهم من قبيلة باجلان، وان اربيل هي نفسها اربيلا التي استولى عليها الاسكندر بعد هزيمته لداريوس في معركة اربيلا ، وهي معركة حدثت بين نهري الزاب والخازر المعروفين قديما باسم بومادوس وليكوس.[124]

اما الرحالة سيسيني فيعتبر الموصل واحدة من المدن المهمة في العراق، لكنها كباقي المدن تعاني من الاهمال المتعمد حسب تعبيره ، فالمدينة ذات تربة مثكلة شديدة الحرارة خلال فصل الصيف ، وهي تشتهر ببساتينها التي تحتوي على مفردات الفواكه المتنوعة كالحمضيات والمائيات (الرقي والبطيخ) التي تسقى بواسطة النواعير من نهر دجلة ، ويدخل الوافدين اليها بعد ان يجتازوا جسرا متهرى للغاية مصنوع نصفه من القوارب والنصف

الاخر من قناطر جسر قديم، وعند بوابة المدينة يستحصل من الوافدين رسوم المرور.[125]

وحدد الرحالة موقع المدينة على الضفة الغربية لنهر دجلة وهو بذلك يحذو حذو كل الرحالة الذين سبقوه في ذلك ، وحدد محيطها بستة اميال ايطالية ( الميل الايطالي يساوي ثلث الميل الانكليزي)، وشوارعها محفرة ومغبرة وضيقة ، اما جدرانها الخارجية فمبنية بالطابوق، وتكثر بها الخانات والاسواق والمساجد، اما عدد سكانها فيبلغ حوالي 50 الف نسمة معظمهم من العرب والاكراد والاتراك والنساطرة واليهود والكلدان، وهم يتحدثون العربية والكردية والتركية والكلدانية.[126]

ووصف الرحالة سيستيني نساء المدينة حيث قال ، كانت النساء يلبسن ذات الزي ولم يتميزن عن بعضهن بسبب دينهن او عقيدتهن ، فهن يرتدين ملابس ضيقة نوعا ما ويضعن فوقها ملاية مخططة عند خروجهن خارج المنزل ، كما يغطى وجوههن ببرقع طويل اسود اللون ، اما شعورهن فيعملهن على شكل جدائل طويلة مربوطة في الغالب بأشرطة بيضاء من الاسفل .[127]

وجدنا ان نساء في المدن الاخرى يحصن على ارتداء زيهن الخاص بطوائفهن الدينية او العرقية لا سيما في مدينة بغداد ، حيث حرص اليهود تحديدا على ارتداء الزي الخاص بهن ليميزهن عن غيرهن من النسوة ، لكن هذا الامر لم نجده – بحسب الرحالة- في مدينة الموصل ، فالتعايش المجتمعي الممتد جعل هذا التمازج الاجتماعي ينمو بقوة وتذوب امامه التقاليد الفرعية للطوائف والاديان .

ويصف المنشي البغدادي المدن في كردستان الحالية ويقدم وصفا جغرافيا لمدينة السليمانية، ويقول بانها كانت قاعدة لديار الكرد، وباشويتها

من قبيلة بابان ، وتحيط بها الجبال من جهاتها الاربع ، وفي انحائها نحو 200 قرية ، اما مائها فينبع من العيون، وفيها من المزارع الكثير وكانت قديما تعرف ب( مركندي) ، واستطاع الوالي ابراهيم باشا البيه 1207 ه من بناء البيوت والاسواق فيها ، واسكن فيها اهالي قلعة جوالان، وسمية نسبة الى اسم والي بغداد فقيل سليمانية ، وتمتاز المنطقة بكثرة الثمار واعتدال المناخ ، اما سكانها فهم كرد شوافع ، وفيها نحو 300 بيت لليهود و 50 بيت للنصارى الكلدان .[128]

# المبحث الثاني

## احوال الاقليات الدينية في الموصل كما وصفه الرحالة الاجانب

### اولا : الموصل في رحلة سبستياني

لم يشر الرحالة الاجانب بصورة صريحة لمفردة التعايش الديني لكن ذلك يستنتجه الباحث من خلال ما اوردوه من معلومات عن طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الناس على مختلف مللهم ونحلهم .

فالرحالة سبستياني اشار الى احوال المسيح في مدينة الموصل وطبيعة وجودهم وحرية ممارسة طقوسهم دون مضايقة تذكر ، فقد ذكر كنيسة اليعاقبة واعدادهم، واشار انهم يملكون كنيسة خاصه بهم ، ويبلغ عددهم حوالي 500 شخص، كما اشار الى كنيسة النساطرة ووصفها بانها صغيره جدا وبلغ عددهم انذاك حوالي 1000 شخص، لكنه ذكر ان اعدادهم كثيرة في الجبال القريبة من المدينة، فيبلغ عددهم 40 الف شخص تقريبا ، ولم يشر الرحالة انهم تعرضوا لأي مضايقة ابعدتهم عن المدينة لكنه قال ما نصه " ... **وبالإمكان اعادتهم الى احضان الكنيسة المقدسة بجهود بعض المرسلين الغيورين، لكن ابليس اللعين استطاع لسبب تافه لا يذكر ان يبعد الاباء الكبوشيين الذين كانوا في هذه المدينة من اجل تلك الغاية...**".[129]

## ثانيا: الموصل في رحلة تافرنييه

اشار الرحالة تافرنييه الى احوال المسيح في الموصل ومعابدهم وعاداتهم الدينية ، وذكر ان اهالي هذه المدينة يتحدثون عن جامع نبي الله ابراهيم الخليل، ويقول ذكر لي نصارى المدينة ان ذلك المكان صلى به نبي الله ابراهيم قبل ان يضحي بإسحاق، وان ينبوعين من الماء قد تفجرا في موضع وضع رقبته ، وانا تلك المياه تجمعت على شكل بركة صغيرة مملوءة بالأسماك و كانوا يطلقون عليه اسم سمك ابراهيم، ويقول الرحالة ان في المدينة كنيسة للارمن، ولديهم كنيسة كبرى تقع علي مسير ربع ساعة من المدينة، وفي الكنيسة نسخه كبيرة من الكتاب المقدس مكتوب بالأرمنية، وفيها مقابر للنصارى قديمة العهد.[130]

ويكمل رحاله حديثه عن الأديرة الكثيرة الموجودة في أطراف الموصل فهو يتحدث عن كنيسة نصرانية صغيرة في مدينة قرة وفيها عدد من المسيح وتحوي قبور قديمة للمسيحيين، كما يتحدث عن الديارات الثلاث في مدينة قوش حصار، وهي ديارات كبيرة أقدم الترك على تخريب اثنين منها دون ان يذكر سبب ذلك. اما سكانها فهم من الارمن والنساطرة وهم يتحدثون الارمنية والكلدانية، وفيها نسختين من الكتاب المقدس مزينة بالذهب يعود عمر أحدها الى 937 سنة مضت اما الاخرى فعمرها حوالي 374 سنة.[131]

## ثالثا: الموصل في رحلة ليناردو الكرملي

ذكر الرحالة مدينة الموصل وتحصيناتها القوية التي صمدت امام الهجمات الفارسية ايام الباشا حسين الجليلي، واشار الى ان كنائس المدينة كانت تمر بحالة من الترميم بدون ذكر السبب، فهل كانت تعرضت لقصف القوات الفارسية ام انه جزء من الاعمال الروتينية العادية لترميم البنايات حيث قال " ... **لاحظت انهم يرممون سبع كنائس تكاد تكون كلها مشيدة على اسم العذراء القديسة مريم، وان التجديد تم على حساب و بأمر السلطان ، اذ كتب له حسين باشا ان المشهور في المدينة انه في زمن الحصار شوهدت فوق الابراج في الجهة المقابلة لمواقع مدافع العدو السيدة مريم ام المسيح، و كانت تحول دون وقوع الضرر في المدينة وقد شهد بذلك الباشا بالذات الذي التقيت به و تعرفت عليه عندما جاء الى بغداد**". [132]

يبدو من حديث الرحالة ان الكنيسة كانت في مواجهة القوات الفارسية الغازية ، اما دث مشاهدة السيدة مريم ام المسيح فوق الابراج فلا يمكن بطبيعة الحال اثباته لانه اعتمد على الروية والرؤية الحدسية ، ففي ساعات الشدة يلجأ كل طرف لابراز اهمية معتقده الديني وانه سبب في دفع الشرور مهما كان نوعها ، لكن ما يلفت النظر في هذه الحادثة ان من يورد تلك الحادثة هو والي المدينة المسلم ! ولم يأت هذا الخبر من احد اباء الكنيسة او قساوستها او مريديها، وهنا يمكن ان نحلل ذلك بأمور هي :

1- ان حالة التعايش الديني بين بناء المدينة اذابة كل الفوارق الدينية التمييزية ، وابرزت صورة مشرقة للعلاقة بين الحاكم والاقليات .
2- اراد حاكم المدينة ان يعظم من شأن المسيحيين في المدينة بسبب دورهم الرئيس في الدفاع عنها خلال الهجوم لفارسي.

3- الخلفية الدينية لاسرة ال الجليلي فهم ينحدرون من اسرة مسيحية اعتنقت الاسلام وهذا الانحدار كان احد الاسباب الرئيسة في زيادة انفتاحهم الديني وعدم تعصبهم تجاه أي من المعتقدات الدينية .[133]

## رابعا: الموصل في رحلة نيبور

يذكر نيبور ان السفر الى الموصل من بغداد لم يكن خطرا وان اعدادا من اهل الاديان الاخرى كانوا يسيرون مجتمعين اليها قادمين من بغداد، وانه رافق قافلة لليهود تعدادها بين 25 الى 30 شخصا متجهين جميعا الى مدينة الموصل، وهو يصف يهود الشرق بانهم ممقوتون كما هم في اوروبا،[134] ويستدرك نيبور ويقول ان تلك القافلة لم تضم اليهود فقط بل ان سواق الحمير كانوا من المسلمين ، ويذكر ان اليهود كانوا يخافون من المسلمين على اموالهم ، فينقل لنا حادثة قال فيها : " **وفي اليوم الاول من سفرنا رأيت بوادر الجبن والخوف بادية على رفيقي اليهودي، فقد حدث ان عددا من سواق الحمير وكانوا كلهم من مسلمين تشاجروا فيما بينهم وتعالى صياحهم كما هي العادة ، فارتبك اليهود ودب الرعب في قلوبهم مخافة ان يصب سواق الحمير الذين تشاجروا فيما بينهم وتضاربوا، جام غضبهم على اليهود وينهبوا اموالهم...**".[135]

ان حالة الاقتتال والنهب كانت موجودة خلال مدة السيطرة العثمانية، فنهب الاسواق والمحلات والمدن كانت تحدث بصورة طبيعية عند الجيش العثماني في حال تأخر مرتباتهم، او اعتراضهم على تولية أي من الولاة غير المرغوب بهم ، وكانت تحدث بين الاهالي في الازمات والاوبئة والغزوات التي تصيب لمدن ، كما يحدث ذلك عند العشائر بل يعدوها من الفروسية والوجاهة والرجولة ![136] وتحدث هذه الحالات على الناس جميعا دونما

استثناء ، اما خوف اليهود في رواية نيبور فهو امر طبيعي لان العرب من سواق الحمير كانوا يرجعون الى عشائر قوية تمنعهم من بطش السلطة او الناس ، اما اليهود فلا مانع لهم لقلة عددهم وعديدهم.

كما يذكر الرحالة حال اليزيديون[137] و يسميهم الدواسن ( نسبه الى جبل داسن الذي يسكنون فيه آنذاك) وهم لا يستطيعون اقامه شعائرهم الدينية بصوره علنية ، لان الاتراك لا يسمحون بحرية الاديان لمن هم ليسوا من اهل الكتاب، لذا هم يزاولون شعائرهم سرا، وانهم اذا قدموا الى الموصل فان الولاة لا يتعرضون لهم، لكنهم يؤذون من العامة، فهؤلاء يقدمون على اخذ بضاعتهم من بيض او دهن بحجة رؤيتها ثم يقومون بسبب الشيطان مما يضطر اليزيدي الى ترك البضاعة والهرب دون اخذ ثمنها كي لا يسمع سب الشيطان امامه لأنه وبحسب معتقده احد الملائكة الصالحين . [138]

ولم يكتف المسلمون باستغلالهم بل ان المسيحين فعلوا ذلك ايضا، فبالقرب من قبر الشيخ عدي بن مسافر حوض ترمي به القطع الذهبية والفضية تكريما له ولا يحق لأي يزيدي ان يأخذ منه شيئا ، لكن حجم تلك الاموال اغرت احد النساطرة الساكنين بالقرب من المكان، فنزل ذات ليلية الى البركة وراح يجمع تلك الاموال ،وصادف خلال ذلك ان ابنة السادان جاءت لأخذ الماء فلما شاهدته لم يتخيل لها انه سارق ، لأنه من المحال ان يقوم شخص بذلك لذا فأنها اعتقدت ان الشيخ عدي هو من ظهر لها ،فرجعت مسرعة لتخبر اباها بذلك الشهد وتقص رؤيتها عليه، وقد انتشر الخبر بسرعه بين اليزيدين وفرحوا به ايما فرح ،اما السارق فقد تمكن من الهرب والتنعم بما سرق .[139]

يذكر نيبور حادثه غريبه مفادها ان الجماعة التي معه من النصارى واليهود والمسلمين كانوا يريدون عبور نهر الزاب ولان هذه المهمة لا يقوم بها غير اليزيديون الذين يمتهنون هذه الحرفة لذا ما كان من راكبي الاكلاك غير ان ينصح بعضهم البعض الاخر ويحذره بعدم ذكر الشيطان والنيل منه امام اليزيديون، لأنه قد يقدم اليزيدي على قلب القارب واغراق من فيه كما فعل احدهم ذات مرة، لكن نيبور يقول بانني لا اغالي ان قلت انني لم اسمع من هؤلاء المسافرين لعنات وسباب طول الطريق ابتداء من بغداد حتى هذا المكان بقدر ما سمعته في هذه البقعة ، بالرغم من ان كل واحد منهم تعهد بمسك لسانه عن السب والقذف وذكر الشيطان.[140]

## المبحث الثالث

## صور التعايش الديني في الموصل كما وصفه الرحالة الاجانب

### اولا : رحلة نيبور

كانت الموصل مدينة جامعة لكل الطوائف الدينية ، وهي مصداق للتعايش الديني الشعبي ، فالاختلاف بين الجماعات الدينية واقع حال بسبب الاختلافات العقدية للاديان ، لكن ذلك لم يدفع الأهالي نحو الاقتتال او الاختلاف الديني، فالاختلاف كان امرا طبيعيا ويحدث كثيرا بين ابناء الدين الواحد ، فالرحالة نيبور بعد وصوله الى الموصل رفض النصارى اسكانه في محلتهم لانه بروتوستانتي وهم من الدومنيكان ، فقال " **ولما كنت احمل معي رسائل توجيهية الى البعثة التبشيرية في الموصل ، لذلك توجهت من دائرة الكمارك الى مقرها املا ان تجد لي بيتا في المحلة التي يكثر فيها النصارى ، وقد كانت هذه البعثة تتألف من اثنين من الدومنيكان ... لكن حالما عرف هؤلاء الاباء انني دنماركي وبروتستانتي لذلك فقد امتنعوا من مساعدتي ، ولهذا فقد اضطررت لاستئجار غرفة في خان** ...".[141] ولم يكتف مسيحيو الموصل بذلك بل انهم وجهوا تهمة الالحاد الى الرحالة نيبور لانه لم يقدم على الصوم في الايام التي يصوم بها الدومنيكان ، وراح الناس في المدينة يوجهون له كيل من التهم والسبا، حتى ضن كثير من المسلمين انه ليس مسيحيا ، فراحوا يسألونه عن دينه ومذهبه ، وهنا يقول الرحالة " **... هؤلاء الدومنيكان اخذوا يشنعون بي ويقذفون بالمذهب البروتستانتي ويتهموني بالإلحاد حتى صار كل المسيحيون ينظرون الي كأحد**

**الكفرة الملحدين...، فان المسلمين اخذوا يعتقدون باني لست مسيحيا ..."[142].**

كانت الموصل قبل الف عام – حسب نيبور- عندما فتحها المسلمون تحوي نحو الفي كنيسة وعدد من الكنيست اليهودي، لكن المسيح يقولون بانها كانت تضم اكثر من 400 كنيسة .[143]

انه من الطبيعي ان يحدث تبدل ملموس في واقع التوجه الديني في المدينة، فالعراق قبل الاسلام كان نصرانيا، وهذه الديانة منتشرة فيه بصورة كبيرة فضلا عن الديانة اليهودية وباقي المعتقدات الدينية الاخرى، لكن وصول الاسلام الى هذه البقعة من الارض غير الخارطة الدينية فيها، فالإسلام ذو طبيعة تبشيرية، وهو يحرص على دخول الناس اليه بالترغيب تارة وبالضغط الاجتماعي والاقتصادي تارة اخرى، ففرض الجزية والتضييق الاجتماعي من الحكومات الاسلامية المتعاقبة دفع كثير منهم نحو اعتناق الاسلام وترك النصرانية، كما انه من الطبيعي ان تعنى الحكومات الاسلامية بالعمارة الدينية الاسلامية دون غيرها من الديانات، لذا صادرت في مرات عديدة كنائس نصرانية وحل محلها جوامع اسلامية.[144]

ويذكر نيبور حادثة مهمة عن احد جوامع المدينة وهو جامع يحيى بن القاسم او كما يعرف بجامع ابي القاسم، حيث يدعي النصارى ان هذا الرجل واحد من اهم قسيسيهم ويسموه (يوحنا الازرقي)، ويقولون ان المسلمين حولوا اتجاه قبره الذي كان نحو قبلتهم الى اتجاه اخر باعتباره نصرانيا .[145]

لكن الرحالة لم يفصل في هذا الخبر ، فمن واقع الرواية نجد ان اسم الرجل يدل على انه مسلم وموضع قبره كذلك ، لكن يبدو في الرواية احد امرين : اما ان يكون الرجل قد تنصر وتحول عن الدين الاسلامي وحول

كذلك اسمه ، او انه كان ذو معرفة في الدين المسيحي ويقدمه لهم كدروس علمية، لذا اعتبره المسيح او ظنوه بحكم بسطتهم من رجال الكنيسة ، او انهم من حولوا اسمه فيما بعد.

لكن المسجد يعود في تلك المدة للمسلمين وهم يسمحون للمسيح بزيارة قبره والتبرك به في أي وقت يشاؤون، وقد اولى المسلمون اهتماما كبيرا بالقبر المذكور.[146]

واشار الاب سهيل قاشا ان الموصل لم تشهد خلافا عقائديا بين اتباع المذهبين الاسلاميين او بين المسلمين عموما واصحاب الديانات الاخرى في المدينة خلال تلك المدة، وقد لاحظ بعض الرحالين ان المشكلات الدينية لم يكن لها اثر على العلاقات بين الطوائف الدينية ببعض لغلبة العصبية المحلية على الجميع وانصهارهم في بوتقة الحياة الاجتماعية المشتركة .[147]

لم يعتبر المسيحيون في الموصل انفسهم اقل حرصا على مدينتهم او انهم مواطنون من الدرجة الثانية ، بل كانوا يدافعون عن المدينة مع المسلمين في احنك الظروف، فعندما حاصر نادر شاه المدينة عام 1743 اشترك المسيح في الدفاع عن المدينة بكل بسالة الى جانب المسلمين ، حيث اوكل اليهم الوالي مهمة حماية اسوار المدينة ، ونتيجة لذلك الفعل فقد سمح لهم الوالي بعد انتهاء الحصار وفشل حملة نادر شاه ببناء عدد من الكنائس الجديدة اضافة للكنائس العشر الموجودة، فقد بنى النساطرة كنيسة جديدة وكذلك فعل اليعاقبة ، حتى عدت كنيسة النساطرة واحدة من اجمل كنائس الشرق.[148]

عملت اسرة ال الجليلي على كسب ود سكان ولاية الموصل بمختلف مللهم ونحلهم ، حيث سمحوا بالحرية الدينية للجميع مما دفع الاهالي جميعا لمعاضدة هذه الاسرة والدفاع عنها .[149]

ويذكر الرحالة ان سكان الموصل المسلمين كلهم من السنة والقسم الاكبر منهم على المذهب الحنفي، والبقية على المذهب الشافعي، اما اعداد النصارى فيقدر ب1200 بيت وربعهم من النساطرة والكلدان والبقية من اليعاقبة، وهم لا يتحدثون السريانية بل بالعربية وهم يكتبون بالخط الكرشوني الخليط بين العربية والسريانية ، ويصف نيبور حال النصارى في الموصل بانه احسن بكثير من بقية بلدان الامبراطورية العثمانية ، ويصفهم بالسعداء وعلى وئام تام مع المسلمين ، ولهم نفس حقوق المسلمين من ملبس وعمل ، وكثير منهم يعمل في حكومة الباشا حتى ان رئيس طباخي زوجة الباشا من النصارى ،وشغل ابوه ذات المنصب لسنوات طويلة في خدمة الباشا .[150]

اما اليهود فيقول نيبور بانهم نحو 150 بيتا، وهم يتمتعون بحرية كبيرة في الاشغال اكثر مما هم عليه في اوروبا، حيث انهم محتقرون ومنبوذون في كثير من البلدان، اذ يقول " **... وهم منبوذون في بعض البلدان اكثر مما هم عندنا لدرجة انهم في بعض مدن هذه المنطقة التي يكثر فيها النصارى لا يجرؤون على الظهور في المناطق العامة والخروج الى الشوارع في ايام سبتهم واعيادهم ، فيفضلون البقاء في البيوت لكي لا يلاحقهم الصبيان ويرموهم بالحجارة** ...".[151]

يبدو ان العلاقة بين اليهود والنصارى في الموصل لم تكن على وفاق، فقبل ثلاث سنوات من زيارة نيبور الى الموصل اتهم النصارى اليهود انهم وراء قتل احد اطفالهم ورميه في بئر ماء، وكانت تلك الحادثة في احد اعياد

اليهود عند زيارتهم لنبيهم ناحوم في القوش، مما دفع النصارى لمهاجمتهم وضربهم، عند ذلك احتكموا الى والي المدينة المسلم الذي حكم لصالح اليهود لعدم وجود دليل على فعلتهم، واكتفى بتغريم اليهود مبلغ 1000 دوقية فضية.[152]

كان على النصارى واليهود ان يدفعوا ضريبة سنوية لوالى المدينة تعرف بضريبة الراس، فالغني يدفع اربع دوقيات ومتوسط الدخل يدفع دوقيتين اما الفقير فيدفع دوقية واحدة ، ويحصلون مقابل ذلك على وصل يحتفظون به طوال السنة كي لا يدفعون مرة اخرى ، ويعفى من هذه الضريبة من يدخل الدين الاسلامي.[153]

وذكر الرحالة نيبور ان اليهود يقدسون قبر نبي الله يونس ، لكنهم يزورونه من خارج الضريح منذ ان دخل في حوزة المسلمين، وانهم يدعون ان المسلمين لا يسمحون لهم بالدخول وزيارة الضريح ، لكن الرحالة يؤكد ان ذلك الادعاء ما هو الا محض كذب ، لان المسلمين لا يمنعون المسيحيين من زيارة اضرحتهم التي اصبحت فيما بعد مساجد للمسلمين، فهم يدخلون اليها متى ما يشاؤون وفي أي وقت كان ،لكن اليهود يدعون ذلك لانهم لا يدخلون الى معبد ليس لهم او يعود الى دينهم ، كما بخلهم يمنعهم من الدخول خوفا من التبرع بشئ من المال لاعمال الخير ولسدنة الضريح .[154]

**ثانيا : رحلة اولفييه**

وقد اشار الرحالة اولفييه 1791 الى التعايش الكبير في مدينة الموصل ، فالمدينة عبارة عن خليط متجانس من الاقليات الدينية، فالمسيح فيها يؤلفون ما عدده 8 الاف شخص فمنهم اليعاقبة والنساطرة، كما تضم من اليهود ما يقدر عددهم حوالي الف شخص ، اما المسلمون العرب فهم بحدود 25 الف نسمة فضلا الاكراد الذين يزداد عددهم اكثر من 15 الف نسمة، وفيها ايضا من الاتراك واليزيديين الذين يسكنون جبل سنجار حيث يمارسون فيه حريتهم الدينية .[155]

كانت حالة الانفتاح الكبير يعود الى السلطة الحاكمة بالدرجة الاساس، فأوضاع المدينة في اغلب الاحيان ترتبط بسياسة الوالي ومدى تعاطيه مع الاوضاع العامة في المدينة ، فمثلا ان المدينة في عهد الوالي محمد باشا الجليلي[156] كانت تمر بأبهى صور التعايش والتعاون بين السكان والسلطة الحاكمة، فالناس خلال عهده كانوا معجبين بتجرده وتجرد عماله ، وهو يعمل على سياسة العدالة بين الناس ومحاسبتهم بعيدا عن الدين والانتماء ، واشار الرحالة الى ذلك بقوله " ... **الباشا يعمل ما في وسعه لكي يحمل يزيدي سنجار والاكراد والكلدان والارمن الذين في كردستان والعرب الذين في بلاد ما بين النهرين على جلب محاصيلهم الى المدينة ، ومنع قيام أي تعسف عليهم، ولا يرتكب أي نوع من الظلم حيالهم ...، همه استتباب النظام وحماية الضعفاء والحد من الاقوياء اكثر من اسباغ هالة على سلطة هو ليس بحاجة اليها ...، فان الموصل تعرضت في السابق اكثر من اية مدينة اخرى في الامبراطورية لقلاقل وفتن وحروب داخلية ، متأتية ليس بسبب بعدها عن العاصمة، بقدر ما هو اختلاف عادات واديان الاقوام التي تسكنها**

**او تقصدها ، ثم رأيت انقطاع هذه القلاقل واستتباب الامن ،...، حتى ان الباشا نفسه اصبح وسيطا  لفض النزاع وفي المجادلات اللاهوتية بين النساطرة واليعاقبة..."**.[157]

كانت اسرة ال الجليلي من العائلات الراقية في الموصل، وان اهالي المدينة من مسلمين ونصارى ساندوها بقوة، لذا فالولاة منهم لا يحتاجون لقوة كبيرة لحمايتهم .[158]

وقد اشار الرحالة جاكسون ان الانفتاح الكبير في المدينة يعود للطبيعة الاجتماعية لسكانها، فهم كانوا منفتحين اكثر من اي مدينة شرقية اخرى، واضاف ان في المدينة من الانفتاح الشيء الكثير ، حيث ان اغلب نساء المدينة لسن محجبات ، اسوة بباقي نساء المدن الشرقية ، بل هن اقرب للنساء الاوربيات منهن للشرقيات.[159]  وقد اكد ذلك الرحالة وليم هود حيث قال " **... ان السكان في هذه المدينة اقل تحفظا من غيرها من المدن ولا تحتجب النساء بصراحة كما هو الشأن في بغداد".**[160]

يرجع دوبريه الانفتاح الديني في الموصل الى وجود اسرة ال الجليلي، الذي قال انهم تولوا ادارة المدينة منذ مائة وثلاثون سنة ، حيث ان الانفتاح الذي تمتع به افراد هذه الاسرة هو بسبب تنوعهم او تحولهم الديني ، فالجد الاول للاسرة كان مسيحي نسطوري وكان اسمه ملكا ، لكنه تحول الى الاسلام واستطاع استلام ادارة المدينة .[161]

ان عملية التحول في المعتقد الديني قد يولد في الانسان توجهين مختلفين ، فالتوجه الاول قد يدفعه نحو التطرف الديني في الدين الجديد والحنق على اصحاب دينه الاصلي ، او ان يولد اعتدالا جيدا بين الدين القديم والجديد ، فمثلا تنقل المؤرخة الالمانية الدكتورة (ولتن) ان السلطان

العثماني عبد الحميد الثاني كان معروفا بوسطيته وسياسته في التراضي وحل المشكلات ، لكن تلك السياسة لم يمارسها مع الارمن فقد ذهب معهم ابشع مذهب ، فالعقدة التي لازمته منذ طفولته وهي شكوك ولادته من اب ارمني جعلت منه كارها لكل ما يمت بصلة لهؤلاء ، وكان يمارس كل اعمال القسوة ضدهم كي يثبت انه ليس واحدا منهم ،[162] في المقابل قدم التاريخ الاسلامي كثير من الشخصيات التي اعتنقت الاسلام من امثال كعب الاحبار ومحمد بن مسلمة وكعب بن الاشرف وعبد الله بن سلام ممن صاروا من محدثي المسلمين ورووا حديثهم دون التعصب تجاه ديانتهم القديمة .[163]

يشير دوبريه ان للسريان الكاثوليك اسقفهم الخاص وللنساطرة اسقفين ، ولهم مطران يتمتع بالسلطات البطريركية ويسكن في دير (الربان هرمزد).[164]

يذكر دوبريه ان احوال اليهود والنصارى في الموصل واربيل مستقرة نوعا ما ، ففي اربيل يعطي المسيحيين حقوقهم كاملة لكنها خاضعة لسلطة الدولة العثمانية، حيث تفرض عليهم ضريبة سنوية بسيطة ، وتلك الظاهرة تحدث مع اليهود ايضا، وهم خاضعون بصورة تامة للامراء الاكراد يتصرفون بهم كيفما يشاؤون ، فهم يحموهم ويقربوهم او يعاملوهم معاملة غير لائقة ، فهم يبيعوهم او يهبوهم اذا اقتضت الحاجة ؟ والمسيحيون موجودون في اغلب الامارات الكردية ويقدر عددهم بحدود مائة الف نسمة، معظمهم من النساطرة، ويشترك في إدارتهم بطرياركين احدهما يسمى اخنانيه ويسكن في قوجانس (حكارى العليا في تركيا) في بادينان قرب جولميرك ويتخذ لقب (مارشمعون) وله معاونين خمس من الاساقفة اما الاخر فيسمى مطران شمعون ويسكن في دير الريان هرمثرد الواقع في اطراف الموصل قرب القوش؟ ويلقب احيانا مارايليا ويمتد سلطته في كل الامارات الكردية وبين النهرين ماعدا ديار بكر وماردیان، وله ثلاثة من الاساقفة بصفة

معاونين له ، وقساوسة النساطرة في هذه المنطقة يحق لهم الزواج من ثانية اوثالثة بعد وفاة الزوجة الاولى ، وهم ينتخبون لمنصب الاسقف وراثيا ، وقد يختارون من يبلغون من العمر اثنتي عشر سنة .[165]

يوجد في كردستان عدد من الاراضي للمونوفيزتين الذين يسمون في الشرق اليعاقبة، وان الجهل متفشي بيهم وحتى بين قسيسهم فهم لا يعرفون القراءة والكتابة الا القلة منهم ، وهم يتعمدون بالنار وفقا لما رد حرفيا في الفصل الثالث من انجيل متى قول يوحنا المعمدان عن المسيح "**هو يعمدكم بالروح القدس والنار**" لذا فهم يحمون حديد على شكل صليب ويسمون بها صبيانهم الصغار في جباههم ، وهم يرفضون الاعتراف عند الكهنة ويقولون ان الاعتراف لله وحده ، اما رهبانهم فهم لا يتزوجون ويلتزمون بالصيام حتى في حالة المرض ، فهم يصومون كل اربعاء وجمعة ولا يلتزمون بالسبت ، وهم يكثرون من السجود في صلواتهم" .[166]

ويذكر دوبريه اليزيديون ويقول انهم اكرادا يسكنون الجبل ، ويرجع اصل تسميتهم الى يزيد بن معاوية ، ويبلغ عددهم بين 8-10 الاف نسمة، وينقسمون الى سورفان وهم يمتهنون الزراعة ، وروسان وخالتلي ، والاخير هم من قطاع الطرق ، ويصفهم بانهم شرسون لهم منظر مخيف، ويصف الرحالة اليزيديون بقوله "... **يقولون عن انفسهم انهم اتباع الشيخ عادي فهم ليسوا نصارى ولا يهودا ولا مسلمين ولا وثنيين ... لا كتب لهم ولا معابد ويعيشون في جهل مطبق ... اهم ما في ديانتهم ان لا يلعنوا الشيطان وان يهتموا بذكر اسمه ...**".[167]

ويذكر دوبريه ان الدولة العثمانية اعدت حملة ضدهم قوامها 15 الف مقاتل بقيادة علي باشا عام 1803، لكن الحملة فشلت لان اليزيدين لجأوا الى الجبال بعد ان اخذوا معهم اثمن ما يملكون.[168]

كانت مشكلة الدولة العثمانية مع الطائفة اليزيدية اكبر من غيرها، فقد اختلف في تصنيفهم لدى العلماء المسلمين ، فمنهم من يرجعهم الى الفرق الاسلامية ومنهم من يرجعهم الى غير المسلمين ، لكن الدولة العثمانية كان ما يعنيها منهم هو انضمامهم للتجنيد الاجباري وعدم شمولهم بالبدل النقدي المفروض على اهل الكتاب ، لكن ذلك القرار الذي صدر عن الدولة العثمانية عام 1872 قوبل برفض الزعامات اليزيدية ، فهؤلاء حرصوا على خصوصيتهم وضرورة منعهم من التجنيد الاجباري اسوة باليهود والنصارى ، فقد كتب زعماء الطائفة عريضة الى الباب العالي اوضحت اسباب استثنائهم من الخدمة العسكرية ، وهي في جلها مسائل عبادية تتعلق بالطائفة ومعتقداتها ، من قبيل عدم جواز دخول المرحاض، وعدم السكن جنب مزارع القرع والخس ، فضلا عن حرمة سب الشيطان امامهم ، وان من مهام اليزيدي قتل كل شخص يفعل ذلك او قتل نفسه في حال عدم الاستطاعة ، ورغم موافقة الحكومة على استثناءهم لكن ذلك الاستثناء لم يدم طويلا بسبب دعوات من رجال الدين انطلقت عام 1890 باعتبارهم ليسوا من اهل الكتاب وانهم مجموعة اسلامية شاذة يجب العمل على هدايتهم، لذا حرصت الدولة العثمانية على ارسال رجال الدين لذلك الغرض ، لكن تلك الحملات قوبلت برفض كبير وتهديد من اهالي المناطق اليزيدية ، مما دعا الدولة العثمانية لإرسال حملات عسكرية (تأديبية) انتهكت فيها الحرمات وسفكت فيها الدماء ونهبت الاموال ، واهم تلك الحملات كانت حملة عام 1891 ، ثم تبعتها حملة عمر لطفي باشا عام 1892 على جبل شيخان ،

حيث سبي فيها من الاطفال والنساء ما سبي وقتل من الرجال والشيوخ ما قتل، واحرقت نتيجتها اربع قرى من مدينة الدنادية ، وعبثوا بمرقد الشيخ عادي وحولوه الى مدرسة دينية .[169] ومهما يكن من امر تلك الحملات فانه تبقى في إطار حملات السلطة واساءتها لمواطنيها وليست ذات طبيعة اجتماعية، فالطائفة اليزيدية رغم موقف اهل الكتاب منهم لكنهم لم يأمروا بالإساءة إليهم او قتلهم، بل كانوا يتعالون معهم في التجارة والحياة العامة.

يذكر الرحالة دوبريه حالة التعايش الديني بين ابناء الديانات ، فهو يذكر احوال الاديرة في الموصل والعلاقات الجيدة بين المسيحيين والمسلمين ، حتى انه اشار الى ان بعض المسلمين يقدمون لزيارة الكنيسة والتبرك بالسيدة مريم والسيد المسيح ،كما يقدمون النذورات لهم والتبرعات للكنيسة، وذكر ذلك بقوله " ... **في احد الايام زارت هذا الدير (يقصد دير الاباء الدومنيكان ) سيدة مسلمة من علية القوم اذ تمت بقرابة الى الوالي ، فاستقبلها الاب المسؤول وطاف بها الدير ، ثم دخلت الى المصلى فرأت فوق المذبح صورة العذراء مريم ، فوجدتها بسيطة وفقيرة ، فوعدت الاب ان ترسل تاجا من الذهب ليحيط براس سيدنا عيسى الذي كان على ذراع مريم، وبعد ايام جاءت هذه السيدة فعلا حاملة هديتها الى الدير.**"[170]

وقد لاحظ الميجر سون الذي زار المدينة نهاية القرن التاسع عشر ان افراد هذه الطوائف يفسرون تالفهم مع بعضهم بانهم على اختلاف اديانهم عرب في الاحساس واللغة ويرتبطون برابطة السكنى بالمدينة فيقول " ... **ومن بين جميع مدن سوريا وبلاد ما بين النهرين، يتمتع النصارى فيها بحرية وهم بمنجاة من الاضطهاد ، وعلى الوجه الذي يتمتع بنو جلدتهم الذين اضطروا الى السكن مع المسلمين جنبا الى جنب ، انهم يردون هذه المزية،**

**والحال المستحبة الى ان المسلمين والنصارى عرب في الاحساس واللغة، وفوق كل شيء هم مرتبطون برابطة التساكن في المدينة ..." .**[171]

## ثالثا: رحلة سبيستيني

بعد ان وصف الرحالة وصفا لمدينة الموصل وجغرافيتها ، قدم ذكرا للطائفة اليزيدية التي اشار الى مناطق سكناها في جبل سنجار ، وقال بانهم من اصل كردي يعيشون على السلب وهم متوحشون ولهم مظاهر شيطانية - بحسب قول الرحالة- ، ويذكر انهم يعتاشون على قتل المسافرين وسلب امتعتهم فمقتل المسلم (التركي) يعد فضيلة دينية لديهم، وذكر ان عددهم بحدود 4000 شخص ، وهم ليسوا بمسلمين ولا مسيحين ولا حتى وثنين ، ويلبس كهنتهم لباس اسود ، وهم يشترون لأنفسهم من مشايخهم اماكن في الجنة ، ويسمحون لهم بمضاجعة نسائهم ويزعمون ان ليس عليهم صلاة وصيام ، وليس لديهم كتب او جوامع ، وهم من كبار مدمني الخمر ، بحسب قولهم ، وهم يعظمون الشيطان ويسمونه جلي أي الامير ، وهم يقتلون من يسئ له او يسبه، ولا يحق لاحد ان يبصق بالأرض بل بيده ثم يمسحه في التراب .[172]

ويقدم الرحالة ذكر لأحوال المسيح في المدينة اذ اشار الى ان والي المدينة اتخذ من الاب (روفائيل) وهو من الطائفة الدومنكيان معالجا له وهو من ثقات الوالي ايضا. [173]

ويذكر الرحالة ان والي بغداد حاول ان يقضي على الطائيين الذين يقطنون البادية على امتداد نهر الزاب الصغير محرك إليهم ثامر باشا الكردي مع خمسة الاف مقاتل، لكن الطائيون مدعومون من اليزيدين في جبل

سنجار، والكثير من قبائل الاكراد، لكن رغم هذا التعاون استطاع ثامر باشا من القضاء عليهم وارسالهم مكبلين الى بغداد.[174]

## رابعا: المنشي البغدادي

وذكر الرحالة اعداد الاقليات الدينية في السليمانية واربيل والمناطق المحيطة بهما، ففي عنكاوة ذكر انها تضم 300 بيت للنصارى وان حاكم المدينة من النصارى ايضا، اما قرية حسن كفتى التابعة لمدينة اربيل فيسكنها الداسنية وهم الكرد اليزيديون، الذين يعتقدون بالشيطان ولا يبصقون في الارض او الماء، وكذلك كرمليس التي تضم 40 بيتا كلهم نصارى، وفيها عدة كنائس وفيها دير مار الركسين (مار كوركيس) وقربها قرى كثيرة كلهم من النصارى الكلدان والسريان.[175]

ويذكر الرحالة ان مدينة الموصل تقع على نهر دجلة وفيها جسر محكم وعريض بحيث يجتازه ثلاث من الخيالة ،اما نينوى فتبعد ميلين عنها وقد لحقها الدمار بصورة كبيرة ، وفيها قبر النبي يونس بن متى ، اما بيوتها فتبلغ نحو 500 بيت، وهي مبنية بأحجار مكتوبة بالخط البابلي ، ان تلك الاحجار موجودة في كل مكان ، ما محيطها فيبلغ حوالي فرسخان ،اما الموصل فتتبعا قرى عدة اهمها تلكيف والقوش ، وسكانها اكثرهم من النصارى – بحسب الرحالة -، وفيهم من اليعاقبة والكلدان والسريان والنساطرة والكاثوليك، وليس فيها من النصارى الارمن ، اما المسلمون فهم حنفية وشافعية وليس في فيهم من الشيعة ،اما جوامعها وكنائسها فمبنية بشكل جيد، ففيها القصر الاسود الذي بناه بدر الدين لؤلؤ وهو مقر حكومتها، وهناك مشهد جرجيس النبي ومزار شيت بن ادم فضلا عن الجامع الاحمر ، والجامع ذو المنارة ،

ويقول الرحالة ان ذلك المسجد كان مصلى للنصارى لكنه بيع فيما بعد للمسلمين واتخذوه مسجدا ،وفي المدينة هناك دير شمعون الصفا .[176]

يحظى نصارى الموصل باحترام كبير، ولهم مكانة تفوق مكانة المسلمين – بحسب قوله- حيث يسيطر النصارى على جميع الاعمال في المدينة .[177]

ومما يذكره الرحالة في الموصل قرية واته وهي مكان اقامة اليزيديون والكلدان وهم بحدود مائة بيت، وعلى طريقها قرية صغيرة على سفح جبل تضم 50 بيتا كلهم من اليزيديين ، واعلى الجبل يقع دير متى ، والجبل يعرف بجبل مقلوب وهو قرب العمادية ،وبالقرب منه قرية تسمى فرزاني وفيها نحو الف بيت من المسلمين التابعين لعشيرة الزنكنة الاكراد، ويوجد هناك دير ربان هرمز ، وفيه مطران واحد وخمسون راهبا يقيمون به بشكل دائم ، اما تلكيف ففيها ثلاث معابد ويسكنها الكلدان فقط.[178]

بعد اقرار الدولة العثمانية للإصلاحات ومنها الاصلاحات الدينية المتمثلة بـ(مرسوم كولخانة) 1839 ، ومرسوم (همايون) 1856- اللذان اكدا على مساواة جميع الرعايا العثمانيين امام القانون ، ومنحت الاقليتان (المسيحية واليهودية) حق الاشراف على امورهم الدينية وادارة امورهم الدينية ومؤسساتهم التعليمية، كما منح رؤسائهم امتيازات خاصة[179]- لذلك تحسنت احوال الاقليات الدينية في العراق على صعيد حرية العبادة والتعامل ، فقد حلت هذه القوانين مشكلات الاحوال الشخصية والعبادية والادارية للأقليات من قبيل الاوقاف والمدارس والمؤسسات الخيرية ، لكن هذه الاصلاحات لم تعفي الاقليات من الاضطهاد غير الحكومي، فقد تعرض المسيحيون الساكنين في القوش عام 1842 الى هجوم من امير العمادية اسماعيل باشا ونهبت بيوتهم وكنائسهم واديرتهم، لكن الدولة العثمانية

وولاتها كانوا يتصدون لمثل هذه الوقائع ويمنعون حدوثها قدر المستطاع، ومنحت الاقليات حق اقامة الشكوى ضد المتسببين بأعمال العنف ، وكانت كثيرا ما ترسل حملات عسكرية ضد الاكراد لمنع وقوع مثل تلك الحوادث ، وكانت الدولة العثمانية تأخذ ذلك على محمل الجد، وتامر بتشكيل لجان تحقيقية بالحوادث ، فان وجدتها صحيحة تسارع الى اتخاذ الخطوات اللازمة لإنصاف اصحاب الشكوى، وهذا ما حدث عندما قدم كاثوليك الموصل شكوى لوالي الموصل محمد طيار باشا (1845-1846) طالبوا في فيها بإملاك عائدة لهم بالجانب الشرقي من الموصل ، كما تدخل للتوسط بين الطوائف المسيحية لتسوية الخلافات حول تقسيم ايرادات اشجار الزيتون العائدة للكنائس في الموصل .[180]

### خامسا: بنيامين الثاني 1848

اشار الرحالة بنيامين الثاني الى ان اليهود في كردستان العراق يتمتعون بحرية كبيرة لاسيما في الجانب الاقتصادي، اذ يسمح لهم بالمتاجرة بالخمور في مدن غالبية سكانها من المسلمين مثل مدن بهدينان والعمادية والسليمانية حيث تعتبر تلك التجارة محرمة عند المسلمين. لكن ذلك لم يمنع اليهود من التعرض للاضطهاد لاسيما في مدينة اربيل ، وذلك عندما نقل اليهود مجموعة من اللفافات من التوراة واسفار موسى من مدينة ماردين الى اربيل وكان معبدهم هناك قد تعرض للسرقة مرات عديدة فأرادوا نقلها للحفاظ عليها ، لكن ذلك الامر اثار حفيظة المسلمون في المدينة لا سيما البسطاء منهم مما جعلهم يهاجمون معبد اليهود وقتل وجرح عدد منهم وتهديم المعبد حتى ساووه بالأرض ، لكن اليهود اعادوا فيما بعد بناء نفس المعبد وان اليهود يتعرضون للأذى في اربيل فقط ، لكن الكاتب يستدرك

ويقول ان التعامل مع اليهود يختلف من منطقة الى اخرى ومن زمن الى اخر ، فقد وجد فريزر ان الكرد واليهود في قرداغ يتعايشون ويتعاونون معا بشكل رائع ، وان بنيامين اشار ان يهود ماردين يعيشون احرارا في مناطقهم ، وكثير منهم يعتبرون من اثرياء كردستان ، وان يهود كردستان يتمتعون بحرية واسعة لو قارناهم بيهود بلاد فارس الذين يتعرضون للأذى والقسوة ، ويصفهم بانهم " فان يهود كردستان في ظل الامبراطورية العثمانية يعيشون في الجنة " [181]

اما يهود السليمانية فكانوا اكثر حرية من غيرهم، فالوالي العثماني سليمان باشا الذي اسس المدينة عام 1784 قال بان أي مدينة لا يوجد بها يهود لا تعتبر مدينة حقيقية، حيث ارسل الى يهود القرى القريبة لغرض استقدامهم للإقامة فيها .[182] وهذه الرواية لا يمكن القطع بها لان الباحث اورد تلك الرواية عن طريق المأثور الشفاهي اليهودي وهذا لا يمكن القطع به لعدم وجود ما يسنده تاريخيا.

تمتع المسيحيون في العهد العثماني بحرية كبيرة ما كان له اثر في اسهام بعض الاسر الارمنية في النشاط الاقتصادي والتجاري بشكل ملموس، ففي الموصل ذكر الرحالة جون يوزر الذي زار المدينة منتصف القرن التاسع عشر ان معظم تجار المدينة من الارمن، وان اعدادهم اخذ بالتزايد خلال القرن التاسع عشر.[183]

## الاستنتاجات

1- تعد مدينة الموصل من المدن العراقية التي اشتهرت بتعدد طوائفها وتنوعهم بسبب الطبيعة المكانية والجغرافية للمدينة، فهي أقرب للشام وإيران وتركيا، وهي حاضرة سياسية مهمة بل كانت من الركائز السياسية للدولة العثمانية التي حرصت على الحفاظ عليها، وهي من المدن الرئيسة لوجود الاقليات الدينية وموطنهم الاصلي، فهي ضمت المسيح واليزيديون واليهود منذ أقدم العصور.

2- احتواء المدينة على قبور وشواهد اصحاب الديانات جعلت منها قبلة للتواجد والمكوث، فهي تضم قبور انبياء وشخصيات محترمة عند ابناء الديانات الاخرى.

3- شكلت اسرة ال الجليلي أحد الركائز المهمة لإشاعة روح التسامح والوسطية عند الطوائف، فالزمن الطويل الذي حكموا به المدينة باعتدالهم الديني المعروف اورث اعتدالا اجتماعيا ملموسا.

4- ابتعاد الموصل عن الصراعات الدينية بين الصفويين والعثمانيين وعدم احتلالها (صفويا) كما هو الحال في بقية المدن العراقية (بغداد والبصرة) جعل المدينة اقل تطرفا دينيا من بقية المناطق.

5- أبرز الرحالة حالات التعايش الديني بين ابناء المدينة، واوضحوا انها من اهم المدن في رعاية الطوائف الدينية، كما أبرزوا دور اسرة ال الجليلي في تعزيز ذلك لتعايش.

# الفصل الثالث

## التعايش الديني في مدينة البصرة من خلال كتب الرحلات(1580-1797)

### مدخل

تعد البصرة واحدة من مدن العراق المهمة كونها تمثل ثغره على الخليج، وبوابته الاقتصادية الاهم، لذا كانت المدينة وجهة للتجار والرحالة والبعثات التنصيرية في الخليج، لذا شغلت هذه المدينة حيزا واسعا في الكتابات التاريخية القديمة والحديثة نظرا لأهميتها الواسعة في مختلف الميادين. ونتيجة لذلك قصد المدينة العديد من الرحالة الاجانب سجلوا في رحلاتهم كل ما شاهدوه عن المدينة، حتى لم يغادر كتب الرحالة ذكرا عن تلك المدينة. ومن خلال ذلك استخلصنا ذكر الرحالة الاجانب للتعايش الديني في البصرة، رغم انهم لم يذكروا ذلك بصورة صريحة لكن وصفهم لحالة التعايش المجتمعي كان يؤكد على ذلك. فقد ذكر كل الرحالة الذين زاروا المدينة الاقليات الدينية وحالة التعايش المجتمعي بين ابناء البصرة وتطورها خلال حقب زمنية مختلفة.

كانت البصرة احدى المدن المهمة التي حرص الرحالة الوصول اليها والكتابة عنها، فهي مدينة مهمة من حيث الموقع الجغرافي والتنوع الاجتماعي، لذا حرصنا خلال هذا البحث الكتابة عن المجتمع البصري وطبيعة التنوع الديني والتعايش بين ابناء الاديان وخلال حقب مختلفة

امتدت للمدة (1580-1797)، فكل رحلة كانت تفصلها سنوات عدة عن الرحلة الاخرى مما يساعد الباحث على تتبع التطور المجتمعي واستمرار التعايش السلمي من عدمه وايجاد صور حقيقية لذلك التعايش، او ان ينسب ذلك التعايش لسلطة معينة.[184]

تمكن اهمية اختيار هذا العنوان موضوعا للبحث لسببين:

1_ اهمية تسليط الضوء على روية الرحالة الاجانب للمجتمع البصري وعلاقاتها المجتمعية، ومدى اصالة ذلك التعايش وامتداده التاريخي حتى يومنا هذا لدى البصرين بصورة خاصة والعراقيين على وجه العموم.

2- ان فكرة الكتابة عن التعايش الديني في كتب الرحالة تعد من الموضوعات الجديدة في الساحة البحثية ، فالكثير من الباحثين اشبعوا مدينة البصرة بحثا في تاريخها السياسي والاقتصادي والعسكري ، فيما لم تسلط الضوء بصوره كافية على الدراسات التاريخية المجتمعية لاسيما في رؤية الغير مثل الرحالة الاجانب.

## المبحث الأول

## الاهمية الجغرافية والتجارية ودورها في التنوع والتعايش في البصرة

تقع البصرة على الضفة الغربية لشط العرب، وتقع على خطي العرض 30-31 درجة [185]، اما حدودها الجغرافية فهي محدودة ببادية الشام من الغرب، وصحراء شبه الجزيرة العربية من الجنوب، اما من الشمال فهي تتصل بولاية بغداد.[186]

تمتاز البصرة بارتفاع درجة الحرارة خلال أشهر (حزيران، تموز، آب)، وقد اشار الرحالة سيسيني أن درجة الحرارة خلال تلك الاشهر تصل الى 26 درجة عند شروق الشمس وترتفع في وقت الظهيرة الى 46درجة.[187]

ويشق البصرة جداول فرعية صغيرة تكون مرتبطة بالنهر الكبير، وتكثر القاذورات في اغلب شوارعها حتى عبر عنها الرحالة نيبور بقوله " **... لم اصادف في اي مكان اخر مدينة اسلامية أكثر قذارة من هذه المدينة**".[188]

يحيط المدينة سوراً ضخماً مبنياً من مادة اللبن،[189] ويبلغ طوله في الضفة اليمنى المطلة على الصحراء اربعة اميال تقريباً، ويبلغ من شماله الى الجنوب ثلاث اميال تقريبا،[190] ولسور المدينة ابواب خمسة هي:

1- دروازة الرباط او باب الرباط.
2- دروازة بغداد.
3- دروازة حضرت الزبير او باب الزبير.

4- دروزة الصراجي (السراجي).
5- دروازة المجموعة.

وقد وصف الرحالة الايطالي ديللافاليه البصرة بقوله " البصرة مدينة مترامية الاطراف عامرة بالسكان، رديئة العمران، قائمة على ارض مستوية مفتوحة وهي غير مسورة وقد احيطت بسور مؤخراً بسبب الحروب التي شنها الفرس عليها، وفي السور ابراج من الطين وقد تهدم بعضها، وللمدينة ابواب تقفل وفيها من الاسواق، سوق الصاغة وسوق المنسوجات ..."[191]، كما يكثر في المدينة الحمامات العامة التي تقدم الخدمات العامة للناس.[192] وللمدينة جامع ذو منارتين وثمان جوامع اخرى بمنارة واحدة، وهناك اربعة جوامع صغيرة اخرى يقصدها اهالي المدينة لإداء الصلاة . [193]

لا يوجد احصائية صحيحة ورسمية لأعداد سكان البصرة قبل القرن التاسع عشر، فقد ذكر الرحالة تيخيرا ان اعداد سكان البصرة عام 1604 كان بحدود الخمسين الف نسمة ، اذ كانت تضم ما يقرب العشرة الالاف بيت ،[194] قيما خمن الرحالة تايلر اعدادهم بأكثر من ثمانية الاف نسمة، فيما قدرهم نيبور عام 1760 بمئات الالاف، فيما قدرهم الرحالة الهندي ميرزا حسن خان بمائة الف نسمة تقريباً. [195]

تتألف البصرة -حتى زيارة نيبور عام 1760 - من احياء سكنية عدة، احصاها بأربع وسبعون حياً، ونذكر بعضاً منها وهي احياء (مناخ، مشراق، ابن عيد، ام البزازين، شيخ بادي، شيخ قنبر، قبلة، معدان، محلة اليهود، محلة مرجانة، حسن داده، الخ ...)، ومما يعنينا من هذا ان نيبور ذكر محلة باسم محلة اليهود ، وذكر ان كل محلة مكونة آنذاك من 300-400 بيتاً، لكن تلك الاعداد لم يتحقق منها الرحالة ، فهو يشير الى ان تلك الاعداد لم تكن

اعداداً مضبوطة حيث ذكر له بعض اهالي المدينة ان كل محلة تضم 100 بيت وان متوسط اعداد العوائل آنذاك يبلغ سبعة اشخاص.[196]

يبدو ان نيبور لم يكن متأكدا من الاعداد الحقيقية لسكان اليهود في البصرة، او عدد منازلهم، فقد اعتمد في ذكر معلومته على الاخبار التي يزودها الاهالي بها وهذه بطبيعة الحال غير دقيقة وخاضعة للتخمين .

يتبع اغلب سكان البصرة الدين الاسلامي وهم على طوائف عدة فمنهم الشافعية والمالكية والحنفية، اما غالبية السكان فهم يتبعون المذهب الجعفري الاثنا عشري ،[197] كما يوجد ادياناً وطوائف اخرى فيها، مثل اليهودية والارمن والكاثوليك والصابئة والفرس.[198]

تمتاز البصرة بكثرة خيراتها وكثافة بساتينها، اذ تغطي بساتين التمر وحقول الحبوب المساحة الاوسع من المدينة، فهي تشتهر بزراعة النخيل الذي ينتشر فيها بمختلف صنوفه، وتكثر فيها زراعة العنب والتين والتفاح والرمان،[199] وفيها وفرة من الرز والقمح، وتمتاز المدينة بتجارة التوابل والعقاقير ومختلف السلع الاخرى التي ترده عن طريق البحر ، ، لكن المدينة تشكو من قلة المياه العذبة ، ويرجع الرحالة الايطالي بالبي سبب ذلك الى ان اهل البلاد يسمدون الارض بالبراز البشري ، وعندما يفيض النهر يجرف كمية كبيرة من الاقذار الى مجرى النهر، وهو ما يجعل طعم الماء اجاجا ، لذا فمن يريد ان يشرب ماءً طيباً عليه الذهاب مسافة نصف نهار ليرد الماء العذب.[200]

يفد الرحالة الى مدينة البصرة عن طريق نهري دجلة والفرات قادمين من شمال العراق او اعالي الفرات، وبعض تلك الرحلات تأتي عن طريق الخليج

العربي او بلاد فارس، ويستعمل الرحالة السفن التي تعرف (بالدانك) خلال رحلاتهم، لأنها الوسيلة الاسرع والاكثر اماناً من غيرها، فالطريق البري طريق محفوف بالمخاطر بسبب قطاع الطرق.[201] او الحيوانات البرية المفترسة التي كانت تجوب مناطق وسط وجنوب العراق. [202] وتستغرق المسافة بين بغداد والبصرة ابحار ثمانية او تسعة ايام عن طريق نهر دجلة، وهذه المدة ترتبط حسب ارتفاع النهر ومقدار توقفات السفينة، فيما تستغرق زمنا اطول عند الابحار في نهر الفرات ، بسبب كثرة تعرجاته وضحالة مياهه .[203]

كان الوافدون الى البصرة يجبرون على دفع مبالغ مالية الى الدولة العثمانية كضريبة عن حمولاتهم، وبلغت قيمة تلك الضريبة 6% من البضاعة الواردة ،[204] وهنالك ضرائب غير رسمية (اتاوات) تفرضها القبائل التي تمر بها الرحلة، وكان كثير من الاحيان تتعرض الرحلات الى مضايقات او هجوم من تلك القبائل اذا امتنعت عن الدفع . فعند مدخل البصرة يقطن العرب الجزائريون (سكنة الاهوار) وهم يرفضون الخضوع للحكم العثماني الذي لا يستطيع بدوره اخضاعهم بسبب طبيعة المنطقة، ويمتاز سكانها بانهم مقاتلون اشداء ، وكانت تلك القبائل تفرض اتاوات على الرحالة مقابل حمايتهم حتى الوصول الى البصرة . [205]

تشكل البصرة العصب الاقتصادي للعراق ، فهي ترسل الى بغداد وبقية المدن العراقية مختلف البضائع التي تردها عن طريق دول الخليج والهند، في فينقل منها البضاعة الهندية مثل السكر والقهوة والبهارات والانسجة القطنية والاخشاب الفاخرة، فضلا عن ذلك كان للبضائع الاوربية سوقا رائجا في العراق، مثل القطن والحرير الاواني والنحاس والحديد الذي كان يصل من المصانع الانكليزية والسويسرية . فخلال سنة (1867_1899) ورد الى

البصرة بضائع بقيمة 4.214 مليون فرنك اي ما يساوي 5.8 مليون باون انكليزي ذهب، اما صادرات البصرة فكانت التمور في طليعة المواد المصدرة ، اذ تبلغ صادرتها سنويا (40_50)الف طن تقريبا تذهب للهند او الخليج وحتى الدول الاوربية ، وتضمن قيمة صادرات البصرة عام 1866 بمبلغ 5.11 مليون فرنك منها 4 ملايين من تمور ومثلها للحنطة والشعير والرز وما تبقى صوف ومواد اخرى . اما المبالغ المالية الواردة من موانئ البصرة عام 1866 بنحو 900 الف فرنك (الفرنك يساوي 25 باون ) وتبلغ متوسط عدد المراكب التي تدخلها وتخرج منها سنويا 167 باخرة و80 سفينة شراعية كبيرة و5000 سفينة محلية .[206]

ان الحركة التجارية الكبيرة لمدينة البصرة حتم عليها ان تكون مدينة منفتحة دينيا ، وذلك لأنها تستقبل مختلف انواع البشر في العام الواحد، فالعدد الكبير للتجار الاجانب ومقدار واردات وصادرات البصرة جعل منها مرفأ تجاريا مهما وزاد الاختلاط المجتمع البصري مع مختلف الملل والنحل، لذا ازاد انفتاح الاهالي على الشعوب والديانات الاخرى وزاد تسامحهم مع الاقليات الدينية.[207]



## المبحث الثاني

### التعايش الديني في البصرة كما وصفه الرحالة

ان اقدم رحلة حصلنا عليها هي رحلة بالبي الذي زار المدينة في 12 اذار 1580 ، ويذكر هذا الرحالة ان مدينة البصرة كانت مدينة واسعة تزاول التجارة ، كان يقطنها الكثير من الوافدين والتجار غير المسلمين للإتجار مع اهالي المدينة المسلمين ، ولم يتعرض اي من هؤلاء الى سوء معاملة ، ويذكر ان اهالي البصرة كانوا يزاولون التجارة مع بعض التجار الهنود الوثنيون الذين يعرفون بأهل بانيان،[208] وقد كانوا هؤلاء التجار يمارسون حريتهم ومعتقداتهم دون ان يوثر عليهم احد طالما يحترمون معتقدات اهل البصرة، لكن وبالرغم من ذلك فان الإساءة لمعتقدات المسلمين في البصرة كان يعرض هؤلاء الى النزول الى الاحكام الاسلامية، ففي 27 اذار 1580 قطع والي البصرة ابن جيكالا رقاب ثمانية منهم لانهم اساءوا للدين الاسلامي وتعرضوا له بالشتم.[209]

ويتبين من ذلك ان البصرة واهلها استقبلوا وتعاملوا مع غير المسلمين او اصحاب الكتاب بل تبادلوا التجارة والاموال معهم، وذلك بدل على ان اهالي المدينة منفتحين دينيا وثقافيا على غيرهم ولم يوصدوا ابواب مدينتهم امام الاجانب مختلفي العقيدة، وهذه مفارقة واضحة تميز بها البصرة عن غيرها من المدن، فالحديث الدائر هنا عن نهايات القرن السادس عشر حيث المجتمع الملتزم دينيا وعشائريا، فضلا عن الادارة العثمانية ذات الطابع الديني، ونحن نشاهد هذا الانفتاح على الاخر . لذا يعد ذلك نقلة نوعية

للمجتمع البصري اذ ما قارناه بغيره من مناطق الخليج التي رفضت التعامل مع الدول الاوربية المسيحية حتى القرن التاسع عشر.[210]

كان اول ذكر للطوائف الدينية في البصرة اشار له الرحالة تاخيرا ، حينما ذكر وجود بيت صغير على شكل صومعة على ضفاف نهر العشار غرب المدينة ، وان المسلمين يقدسون السيد المسيح ويسمونه روح الله ، فيما اشارت بعض المصادر ان اول ظهور للنصارى في البصرة كان لفرقة الكرمليون الحفاة ، الذين افتتحوا كنيسة باسم العذراء مريم في محلة السيمر عام 1624. ومن اللافت للنظر تزامن ظهور الرهبان الكرمليين مع الرهبان البرتغاليين من جماعة الاوغسطينيين ، او قد يكون ظهورهم اسبق بعدة سنوات على مجئ الكرمليين .[211]

تعد حقبة حكم اسرة ال افراسياب[212] من اهم حقب التعايش الديني في البصرة، فالحرية الدينية كانت ميزة امتازت بها اسرة ال افرسياب ، فحكومتهم لا تتدخل بالحريات الدينية للأقليات، لانها تعتبر ذلك حرية شخصية . وقد انعكس ذلك على عوام اهل البصرة، فقد حظيت الاقليات باحترام كبير من الاهالي، وازدادت العلاقات الاجتماعية بينهم بصورة ملحوظة حيث اشار الرحالة سبيستياني لذلك بقوله " ... **وكان تجار البلدة من مسلمين وغرباء يزورون الدير ويطالبون مساعدة الرهبان لتمشية امورهم عند الوالي...**"[213].

كانت البصرة حتى وصول الرحالة الايطالي ديللافاليه عام 1624 قبلة للأجانب ولأصحاب الديانات الاخرى ، مما ادى الى زيادة اعداد المسيحين القادمين الى المدينة ، وهذه الزيادة الملحوظة حتمت عليهم فتح ديراً لهم لممارسة طقوسهم الدينية، وقد اشار ديللافاليه الى ذلك بقوله " **نظرا لوجود**

**عدد كبير من المسحيين الاوربيون في المدينة فقد فتح الرهبان الكرمليون[214] مبعثا لهم فيها ...".** [215] وقد وصف ديللافاليه تلك الكنائس بصورة دقيقة، فأشار الى معبد الاباء الكرملين وقال بانه شيد بصورة جميلة مع دير ملحق له، يحوي جوامع الرهبان وغرف لعابري السبيل وقد ابتاعوا قسما من الارض بمالهم الخاص والقسم الاخر وهبهم اياها افراسياب باشا، وقد وصف الرحالة سيستيني ذلك الدير بقوله " **دير المبشرين بالبصرة من أجمل الصروح بعد الشركة الانكليزية وكنيسة الدير كبيرة وبنائها جيد** ...".[216] اما الرهبان الاوغسطينيون فانهم لم يشيدوا ديرا خاصا بهم، وكانوا مشردين كثيرا في ذلك الشأن لانهم خشو من سقوط البصرة في قبضة الفرس، لذا اكتفوا باستئجار دار للسكن واقامة الصلاة فيها، وكان (الباشا افراسياب) يدفع ثمن ذلك الدار ، فقد كان الباشا يحسن معاملة البرتغاليين وسائر المسحيين في البصرة نظرا لمساعدة البرتغاليين له في مواجهة الفرس وقد خصص فضلا عن ذلك راتبا شهريا و مساعدات للكنيستين. [217]

شهدت البصرة خلال فترة حكم اسرة افراسياب انفتاحاً كبيراً على الاقليات الدينية فيها، فمن خلال كلام الرحالة الايطالي ديللافاليه يظهر مدى التعاطف الذي كان يحظى به المسيحيون في البصرة، ورغم حسن المعاملة تلك كانت الغاية منها ارضاء البرتغاليين الذي كان يرجو منه حمايته من اي اعتداء على البصرة، لكن سياسة الدولة تنعكس ايجابيا على سلوك المجتمع ، فالباشا افراسياب عمد الى الانفتاح على المسحيين من خلال استئجار الكنائس لهم وحضور احتفالاتهم الدينية ، وهو بطبيعة الحال مؤشرا ايجابيا على مدى التعايش الديني في البصرة ، فلو كان المجتمع البصري يقف بالضد من وجود الاقليات او فتح الكنائس لما تمكن افراسياب من دعمهم

بصورة علنية او حضور احتفالاتهم لانه سيواجه معارضة من وجوه واعيان البصرة .

وقد ذكر الرحالة الايطالي ديللافاليه ان المدينة تحوي عددا غير قليل من الاقليات الدينية، وهم يمارسون شعائرهم بحرية كبيرة ، فقد ذكر وجود عدد ليس بالقليل من الصابئة المندائيين وهم يمارسون شعائرهم بحرية تامة ووصف ذلك بقوله: (**في البصرة عدد من النصارى الكلدانيين الذي يطلق عليهم نصارى القديس يوحنا او الصابئة وليس لي فكرة بعدد بيوتهم وليس لهم من النصرانية سوى الاسم ، على ما اظن فليس لهم كنيسة بل يحلون في بيت كاهنهم الوحيد في البصرة اثناء وجودي ...، ولا صيام لديهم ولا قطاعة بل يتناولون اللحم على مدى الايام ...، عمادهم نفسه عماد القديس يوحنا ... وهم يجلونه ويبالغون في الكرامة وفي ظني انهم بقايا اليهود الذين نالوا العماد من يد يوحنا ولهذا تمسكوا بهذه الطقوس يعرفون عند العرب بالصابئة يتكلمون فيما بينهم لغة الكلدانية محرفة تسمى المندائية الى جانب العربية ومنها اسمها المعروف مندائي بينما يطلق عليهم الاوربيون نصارى القديس يوحنا وليس لديهم اناجيل اقله هنا في البصرة ولا كتب اخرى مقدسة ماعدا كتاب يسمونه السذرا،**[218] **وهم يسيرون بأحكامه في امور دينهم لهم حروف خاصة بلغتهم تختلف عن الكلدانية او السريانية القديمة والحديثة وبهذا الحروف يكتبون اسفارهم المقدسة وهم ( اي العامة ) لا يعرفون هذه اللغة قراءة او كتابة بل يقتصر الكهنة على معرفتها ...** ).[219]

يبدو ان الرحالة خلط بين الصابئة والمسيحية فالديانة المندائية تختلف كثيرا عن المسيحية من حيث المعتقدات والطقوس لكن لسوء معرفة المندائيون بعقائدهم الدينية واختصارها على رجال الدين فقط جعل الكثير

منهم لا يعرف المعتقدات الدينية او يميزها عن غيرها من المعتقدات المتشابهة، كذلك قصر مدة بقاء الرحالة في البصرة او بالقرب من المندائيين جعلهم يتوهمون بأنهم مسيحيون.

تعرضت البصرة عام 1623 الى حملة فارسية لإخضاع المدينة ، فقد طلب الشاة من افراسياب ان يتخلى عن تبعيته للدولة العثمانية ويتقبل التبعية الفارسية ، وان يسك النقود باسم الشاه وان يذكر اسمه في الصلاة ، وان يتخذ الازياء الفارسية في الملبس، ومقابل ذلك ان يكون افراسياب حاكما للبصرة وان يكون الحكم وراثيا في ابناءه ، وعندما رفض افراسياب ذلك ، جرد عليه الشاه في السنة الثانية حملة عسكرية بقيادة حاكم شيراز امام قلي خان ، ولكن افراسياب صد الهجمة بمساعدة الاسطول البرتغالي في البصرة، واعاد الفرس الكره مرة اخرى 1625، فهب البرتغاليون ثانية لنجدة البصرة وأعاروا علي الباشا الذي خلف اباه في حكمهما خمس سفن مسلحة، غير ن القوة الفارسية انسحبت فجأة تاركة الكثير من احمالها. ويرى لونكريك انه من المحتمل ان يكون سبب الانسحاب حدوث اضطراب في شيراز او وردة امر من العاصمة اصفهان.[220]

لم تقف الأقليات الدينية مكتوفة الايدي حيال الخطر الذي كان يداهم المدينة، فخلال حصار البصرة الاول دعا الشيخ (عبد السلام الكواز) -هو شيخ من شيوخ الطائفة الصابئية- في 19 اذار 1623 ابناء دينه للدفاع عن المدينة والوقوف مع المسلمين في خندق واحد ، وقد جمع من أفراد أسرته وأبناء دينه وأتباعه 200 رجل وتوجهوا لنجدة علي باشا بعد ان طلب الأخير من أبناء المدينة مساعدته في حرب الفرس، وقد استطاعت هذه القوة البسيطة ان تدافع عن المدينة وتوقف التقدم الفارسي. [221]

وقد يتسائل البعض عن الغاية التي دفعت الصابئة للدفاع عن المدينة رغم قلة عددهم؟ ان الانفتاح الديني ايام حكم افراسياب وابنه علي افراسياب اعطى للأقليات حرية ممارس شعائرهم الدينية بحرية مطلقة،كما ان الدعم الكبير الذي حظيت به الاقليات لم يكن كما هو في اي عهد مضى ، كما ان التعايش الديني بين المسلمين والأقليات دفع تلك الاقليات ومن واجب اخلاقي مشاركتهم في الدفاع عن المدينة ، كما ان الاقليات كانت متخوفة من ان تفقد هذه الحرية وذلك التعايش في حالة سيطرة الدولة الفارسية على البصرة ، والاخيرة معروفة بتوجهها الطائفي المتطرف .لذا حرص ابناء الطوائف الدفاع عن مدينتهم والحفاظ على ذلك التعايش الرائع .

بعد ابتعاد الخطر الفارسي على البصرة سنه 1624 احتفل البصريون بافتتاح كنيسة ثانية للاباء الكرمليون وهي كنيسة (مريم العذراء ام الشفاء) في منطقة العشار ، واقيم احتفالا كبيرا بالمناسبة، وحضره غفر كبير من النصارى الاوربيون والشرقيون بمختلف طوائفهم فضلا عن اعداد كبيرة من المسلمين، وذكر الرحالة ديلافاليه تلك الحادثة والاحتفال بقوله "... **واعد في المساء انوارا كثيرة اشعلها عند حلول الظلام واوقد نارا ، واطلق الجنود البرتغاليون عدد لا يحصى من العيارات النارية ، وارسل الباشا نحو خمسمائة من جنودة للدير المذكور ، واطلق هؤلاء بدورهم عيارات نارية ،... الحق يقال ان المدينة كلها احتفلت بالمناسبة ، النصارى والمسلمون على حد السواء...، وفي مساء الاحد قبل غروب الشمس تفضل الباشا بنفسه مع بطانته فزار الكنيسة والدير ، وعند خروجه ترك صدقة لأصحابه** ".[222]

ان كلام الرحالة في هذه الحادثة مهم جدا فعبارة (**الحق يقال ان المدينة كلها احتفلت بالمناسبة النصارى والمسلمين على حد سواء**) تظهر مدى التعايش الديني والمسلمين في مدينة البصرة، فقد احتفل المسلمون وبفرح كبير نتيجة افتتاح الكنيسة في البصرة ، ولم ينظروا الى ذلك المكان على انه مكان للتبشير او دعاية ضد الاسلام ، بل تعاملوا مع الحدث بعفوية جميلة وانفتاح رائع وان دل ذلك على شيء فانه يدل على عمق العلاقة الرائعة بين المسلمين والمسحيين وغيرهم من الطوائف.

كانت البصرة ملتقى القوافل التجارية ومهبط الرحالة والرهبان الاجانب الذين سجلوا في رحلاتهم الشي الكبير عن التعايش الديني السلمي في البصرة، فقد كانت مدينة حضارية والاحكام فيها احكاما مدنية رغم تنوعها الديني الظاهري، فأسرة افرسياب كانت تربطها علاقات متوازية بين جميع الاديان، ولم يفضلوا اناس على اخرين من حيث التعامل الديني ، فقد اشار الرحالة سبستياني الى حادثة مهمة وقعت عام 1656 عندما ردت الحكومة المحلية دعوى رفعها بعض رجال الدين المسلمين الذين بنوا مسجدا بالقرب من كنيسة وطالبوا بهدم تلك الكنيسة لان ذلك –بحسب اعتقادهم- يعد مخالفا لأحكام الشرعية الاسلامية ، وقد ذكر سبستياني ذلك بقوله " ..... **وحدث قبل فترة وجيزة من حولنا اننا ربحنا دعوى بواسطة (اي الوالي) ضد الاتراك انفسهم، وقد شيدوا مسجدا بالقرب من كنيستنا ، وعندما فرغوا من بنائه طالبوا بهدم الكنيسة، في حجة ان الشريعة تامر بذلك** ....." .[223]

لم يكن التعايش الديني في البصرة يقتصر على التوادد والمحبة بين ابناء الطوائف بل ان رجال الدين المسلمون كانوا يحترمون المعتقدات المسيحية،

بل زادوا على ذلك عندما أقدموا على تسمية أحد مساجد المدينة باسم (عيسى ومريم) وذلك يعد احتراما كبيرا للمسبحيين في المدينة.[224]

كانت البصرة خليطا كبيرا من السكان متعددو الاديان والمذاهب، فضلا عن الصابئة والمسيحيين كان هنالك بيوت عديدة من اليهود فقد ذكر الرحالة سبستياني ان اليهود كانوا يعملون في الترجمة للولاة العثمانيين، وقد استخدمهم بعض الرحالة عند لقائهم بالوفود العثمانية الرسمية.[225]

لم يتوقف الدعم الحكومي لمسيحيو البصرة، فقد ذكر سبستياني الدعم الكبير الذي منحه حسين باشا افراسياب لديرهم عندما زارة في تلك المدينة في اب 1658 حيث قال " **قبل مدة قام الباشا بزيارة ديرنا في تلك المدينة وقد دخل الكنيسة ،.... ثم البستان فراها يابسة فاستفسر عن السبب ، فقيل له قلة الماء فامر في اليوم الثاني ان تشق على نفقته ترعة من النهر الى داخل البستان مباشرة ، فتم العمل بفترة وجيزة ، كما ان سمح للاب منصور الذي كان صديقه ، ان يشيد غرفا جديدة من اجل راحته ،ولفائدة الدير ، وهذا ما حدث فعلا ".** [226]

ان افضل الحقب التي مرت بها البصرة من حيث التسامح الديني كانت حقبة افراسياب وأولاده، لكن بعد انتهاء عصر تلك الاسرة دخلت البصرة تحت الادارة العثمانية او بالأدق تحت سلطة القوات الانكشارية، فللأخيرة امتيازات عظيمة في البصرة شأنها شأن جميع المدن التركية، ومن هذه الامتيازات ان ليس لاحد حق محاسبتهم الا قادتهم العسكر، فليس للوالي الحق في عقابهم او حق في مسائلتهم ، فقادة الانكشارية كانوا متواجدين في القرنة التي تعتبر قلعتهم، اما البصرة ففيها صغار الضباط فقط. وكان على اهالي البصرة بمختلف صنوفهم (الاغا والتاجر والحمال والملاح ) ان

يدفعوا مبالغ معينة لهؤلاء الانكشارية مقابل حمايتهم ، وقد قام الانكشاريون بعد وفاة سليمان باشا بنهب بيوت النصارى واليهود والبنيان في وضح النهار ، بل قاموا بنهب بيوت المسلمين الذين لم يسجلوا انفسهم في قطعاتهم.[227]

بعد هذه الاحداث تعرض الكرمليون الى مضايقات ومصاعب كبيرة من جانب الحكام المحليين في البصرة ، ولم يكن موقفهم من الرهبان الكاثوليك يتميز بالعطف كما كان الحال عند اول ظهور لهم ايام افراسياب، لذا قامت فرنسا عام 1689 بتعيين رئيس بعثة الكرمليين قنصلاً عاما لها في البصرة، بغية حمايته واعضاء بعثته من مضايقة السلطات المحلية في المدينة ، لكن ذلك لم يكن كافيا لضمان سلامة البعثات المسيحية وحماية عناصرها، لذا تدخل السفير الفرنسي في اسطنبول (دومينوس ماركيز دو نوانتل) لدى الباب العالي ، وحصل على امر رسمي عام 1711 من السلطان مراد الرابع[228] يتضمن الحماية الكاملة للكراملة الفرنسيين في البصرة، والسماح لهم بممارسة حريتهم الدينية وعدم التضييق عليهم .[229]

لم تتوقف الرحلات الى مدينة البصرة، ففي عام 1740 وفد اليها الرحالة الاب فليب الكرملي، وكانت غاية رحلته هو الاطلاع على المدينة واحوال مسيحيها فضلا عن الاتصال بالقناصل الاجانب ولقاء جنودهم وتعليمهم واجباتهم الدينية ، ورغم ذلك فان حكومة البصرة لم تعترض على وجوده لان ذلك بحسب رأيها حرية دينية ولا يؤثر على السلم الاجتماعي وقد ذكر الكرملي ذلك بقوله " **واخيرا وصلنا الى ديرنا في البصرة ن فزار القناصل الثلاثة اي الفرنسي والانكليزي والهولندي ... وقد رجاني القنصل الفرنسي ان اصعد الى سفينة فرنسية كانت تحمل الى جانب الضباط نحو مائتي بحار يتمنوا ان يكملوا واجباتهم الدينية ....، فصعدت بطيب خاطر**

**ورافقني الاب بروسبيرو رئيس ديرنا في البصرة ، وبقينا في السفينة ثلاثة ايام فهمنا خلالها مراسيمنا الدينية** "،[230] وتبين من ذلك ان الحرية الدينية في البصرة مستمرة ولم يتعرض اي شخص لمضايقات على اساس معتقده ، فالمبشرون الدينيون ومنهم فليب الكرملي كانوا يتحركون ويزاولون اعمالهم الكنيسة ولم يذكر اطلاقا ان احد من البصرين تعرض له او منعه من ذلك ، هذا يدل على ان سمة التسامح والانفتاح والمدنية كانت سمة متلازمة لأهالي البصرة وطابع تتميز به مدينتهم.

حافظت البصرة خلال القرن الثامن عشر على تعديتها وانفتاحها الثقافي والتعايش الديني بين ابنائها، فقد عمل الرحالة الالماني نيبور على وصف المدينة وطبيعة العلاقات الاجتماعية فيها ، وبنفس الوقت سجل سلبيات كثيرة على حكومتها المحلية، فقد اشار الى ان فساد الجهاز الحكومي في البصرة واضحا للعيان ، فالباشا كان يستحصل من الاغنياء مبالغ مالية لتأديتها للحكومة العثمانية ، لذا حرص اغلب الاغنياء البصرة على عدم الظهور بمظاهر الابهة ويسر الحال خوفا ان تسطوا الدولة على اموالهم ويجبروهم على دفع مبالغ ليست بقليلة لصالح الحكومة ، وقد شمل ذلك الاجراء جميع الاغنياء من المسلمين وغيرهم ، ومن طريف القول ينقل الرحالة نيبور حادثة وقعت مع تاجر ارمني عمل على بناء جسرا في مدينة البصرة ، وقد حرص على تلوينه ووضع الاحجار الجميلة فيه، كما عبد طريقا يصل المدينة بمقبرة قومة ، لكن الحكومة المحلية بدلا من شكرة او الثناء علية عملت على فرض ضريبة كبيرة على ذلك التاجر واضطر الى دفعها ، واجبر على اقراض الدولة مبلغا كبيرا من المال لم يسترجعه فيما بعد ، وبصدد ذلك اشار نيبور ان عمل الارمني لو كان في اوربا لقدرته حكوماتها تقديرا كبيرا.[231]

حاول نيبور ان يسلط الضوء على الاقليات الدينية ف المدينة ، فقد ذكر ان غالبية المسيحيون في المدينة من الارمن، وقد نزح اغلبهم من ايران ، كما ذكر ان المدينة تضم اعدادا قليلة من الصابئة المندائيين الذين يمتهنون الصياغة عملا لهم كما توجد في المدينة عوائل من البنيان وما يقرب من مئة عائلة يهودية.[232]

ويذكر نيبور ان البصرة رغم تعرضها لغزوات اجنبية عدة كان اهمها هجوم كريم خان عام 1779 لكنها حافظت على تنوعها وفسيفسائها ، فكانت العلاقة الرابطة بين اهالي المدينة والاجانب المقيمين بها قوية جدا ، فبعد انسحاب كريم خان من المدينة قرر ان يبيع الاسرى العرب وهم من اهالي البصرة وفور سماع الشركة الشرقية الانكليزية ذلك الخبر اقدمت على شراء العرب واطلاق سراحهم وقد كان لهذه الحادثة اثر كبير في نفوس البصرين تجاه الشركة.[233] ومن المرويات اليهودية التي تناقلها يهود العراق ، ان احد ابناء طائفتهم المدعو خواجة يعقوب ساعد العسكر العثماني بماله خلال حصار البصرة من القوات الفارسية بقيادة كريم خان الزند عام 1776 ، حيث مد الاهالي بالمؤن طيلة مدة الحصار ، وذكر ذلك في رسالة عبرية عرفت باسم الرسالة الفارسية ، كما ذكر ذلك المستر ريج في كتابه " الاقامة في كردستان ".[234]

كما حاول نيبور ان يصف المذاهب والاديان في المدينة وطبيعة العلاقة بينهم ، فقد ذكر فضلا عن الاقليات الدينية طبيعة العلاقة بين المذاهب الاسلامية فقد ذكر ما نصه "**الغالبية العظمى من سكان المدينة من المسلمين على المذهب السني فضلا عن اعداد ليست بقليلة من المذهب الشيعي وكان**

**السنة يتحفظون في علاقاتهم مع الشيعة اكثر من تحفظهم من بقية الاديان".** [235]

يبدو ان سوء العلاقة بين السنة والشيعة في البصرة خلال تلك المدة عائدة للطرح السياسي بين الدولتين الصفوية والعثمانية والتي انعكس ضررها على الاهالي انفسهم فالدولتين قائمتين سياسيا على اساس الخلاف المذهبي ، لذا فان اي من الطرفين في حالة سيطرته على المدينة سينكل ابناء المذهب الاخر وهذا ما حدث في العراق خلال تلك العقبة . فقد هدم الفرس قبور رموز اهل السنة في المدينة امثال (الحسن البصري ، الزبير ابن العوام ، وطلحة بن عبيد الله)عندما حاصر نادر شاه البصرة عام 1743. [236]

حاول الرحالة الاجانب ان يحددوا اماكن سكنى الاقليات في البصرة بصورة دقيقة ، فالرحالة سيسيني يذكر ا الاقليات لم تسكن مدينة البصرة فحسب، بل ان اعداداً غير قليلة تسكن اطراف البصرة فبالقرب من القرنة يذكر الرحالة سيستيني بانه مر بقرية صغيرة تسمى (جرف اليهود) يسكنها العبريون منذ ازمان بعيدة وهم يمارسون حياتهم بصورة طبيعية دون ان يضايقهم احد،[237] ويبدو انهم كانوا يجاورون مرقد النبي الله عزرا (عزير)[238] ، اذ تنتشر بيوت اليهود بالقرب منه، وهو يطل على الضفة اليمنى من نهر دجلة بين القرنة وقلعة صالح وقد جاور اليهود في هذه المنطقة عشائر ال بو محمد. [239]

بهذا الصدد يمكن ان نسلط الضوء على قضية التعايش الديني في اغلب مدن العراق والبصرة على وجه التحديد، فالعشيرة في العراق تمثل ثقلا مهما لحماية افرادها والمنتمين لها، وان مصدر المعيشة آنذاك لبعض العشائر قائم على ما تستولي عليه العشيرة جراء الغزو او السطو على الاجانب ، وقد ذكر

اغلب الرحالة في كتب الرحلات تعرضهم لأكثر من مرة الى محاولة سلب او دفع اتاوة لغرض حمايتهم ،[240] لكن في الوقت نفسه نجد ان اغلب الاقليات الدينية هم من اصحاب المال ورغم سكنهم في مناطق بعيدة عن سلطة الدولة مثل القرى والاهوار لكن تلك العشائر لم يتعرضوا او يتم السطو على هذه البيوت او القرى الصغيرة ، وذلك يعد فارقا مهما لتعايش الديني السلمي في العراق والبصرة بصورة ادق.

رغم الحركة الاقتصادية الكبيرة التي تتمتع بها البصرة لم يكن اهالي المدينة من العرب تحديدا يتمتعون بالعيش الرغيد ، فاغلب الرحالة الاجانب ذكروا ان هناك اعداد قليلة جدا من العرب يشتغلون بالتجارة وهم ميسوري الحال، اما تجار المدينة فانهم من الاقليات الدينية الاخرى وكان الارمن اكثرهم مالا ، وهم يتمتعون بتجارة واسعة مع الهند والدول الاوربية ، فقد ذكر الرحالة جاكسون الذي زار المدينة عام 1797 بقوله "**.... اكثرية سكان من العرب اما البقية فانهم من الاتراك والارمن ومعظم الاتراك من الرجال العاملين في الجيش او المناصب الحكومية اما الارمن فانهم يشتغلون في التجارة ومعظمهم محترمون جدا ولهم تجارة ملموسة مع شرق الانديز والبرتغال ،... اما بالنسبة للعرب وهم يولفون اكثرية السكان فلا يوجد سوى عدد قليل من الاثرياء بينهم في اما القسم الاعظم منهم فقراء جدا وهم يتعاطون اعمال شاقة لقاء اجور ضئيلة** ".[241]

ورغم ضيق العيش لأكثرية اهل البصرة لم يسجل الرحالة اعتداء على الاقلية الميسورة من (مسيح او صابئة او يهود او غيرهم) بل كانت الطوائف متعايشة ومتخالطة بسلمية واضحة ، وقد سجل جاكسون ذلك التعايش بقوله

" ... **والناس في المنطقة اقل تحرشا بالأجانب من غيرهم** " [242] ويبدوا ان تحليلنا لذلك الامر يعود لسببان:

1- قوة الدولة وذلك يتناسب بصورة طردية مع استقرار الاوضاع والمحافظة على سلطة القانون ولا يسمح بالاعتداء على الاخرين، لكن بالرغم من ذلك يمكن ان نستثني البصرة من هذه القاعدة، فالمدينة لم تحكم بشدة من قبل الدولة العثمانية حتى انها خرجت عن سلطانها مرات عدة ، اضف الى ذلك ان اغلب عشائر البصرة لم تخضع لسلطة الدولة الا ما ندر ، ورغم ذلك وجدنا ان ابناء العشائر حافظوا على وجود الاقليات الدينية بين ظهرانيهم بل تعايشوا معهم بصورة سلمية،

2- التعايش المجتمعي ويبدو ان هذا الجزء هو الاقرب لتفسير حالة التعدد الديني في مدينة البصرة ، فالكثير من العوائل الصابئية واليهودية تعايشوا مع ابناء العشائر في اماكن بعيدة عن مركز مدينة البصرة وعن سلطة الدولة، لذا يمكن القول ان طبيعة المدينة المنفتح ثقافيا ، وطبيعة سكانها المتعايشين دينيا هيأ لها ان نكون في طليعة المدن العراقية من حيث التعايش والانفتاح.

## الاستنتاجات

1- لعب الموقع الجغرافي في البصرة دوراً مهماً في انعاش وزيادة التعايش الديني، فموقعها المطل على الخليج العربي وكثرة الوافدين عليها حتم على اهالي المدينة ان يتعايشو مع مختلف الملل والنحل الواردة الى المدينة.

2- شكل اقتصاد البصرة والتبادل التجاري فيها دورا بارزا في تطور واقع التعايش الديني في المدينة، فالاستقرار اقتصادي يرتبط ارتباطا طرديا بالاستقرار والسلم المجتمعي ،لذا حرص اهالي البصرة على ذلك التعايش خلال قرون عدة.

3- لم يختلف طبيعة التعايش الديني بين ابناء البصرة باختلاف الازمات ،اذ حافظ البصريون على علاقاتهم الاجتماعية الجديدة مع بعضهم البعض ،رغم تبدل السلطات الحاكمة للمدينة عدة مرات.

4- لم تستطيع الرحال ان يوثقوا بصورة تفصيلية طبيعة العلاقات الاجتماعية في المجتمع البصري بين الطوائف الدينية، بل اكتفوا بذكر بعض العلاقات الاجتماعية والدينية في المدينة.

5-اسهمت بعض السلطات الحاكمة في المدينة بتعزيز روح التعايش الديني في المدينة لاسيما اسرة افراسياب، لتي كان لها دورا مهما في اشاعة الثقافة التسامحية بين الاديان.

6- اسهم ابناء الديانات في الدفاع عن مدينة البصرة لاسيما الصابئة المندائيون الذين دافعوا عن المدينة خلال حكم افراسياب من يظهر مدى لتعاون والتلاحم بين اديان المدينة.



# الفصل الرابع

## ازمة تشكل الهوية الوطنية العراقية خلال فترة السيطرة العثمانية.

### مدخل

تشكل الدراسات الباحثة في موضوعة الهويات من الدراسات المهمة والصعبة، لأنها تركز البحث على مشكلات اجتماعية محضة مع دعم ذلك بعدد من الوقائع التاريخية ، لذا سلطنا الضوء خلال هذا البحث على ازمة تشكل الهوية العراقية خلال فترة السيطرة العثمانية لان اغلب الدراسات الاجتماعية والنفسية والسيوتاريخية ركزت على ازمة الهوية العراقية بعد تشكيل الدولة العراقية عام 1921 ، حيث بحثوا الأزمات والمعوقات التي حالت دون تشكل هوية عراقية واضحة ، لكن الباحثين اغفلوا اثر السيطرة العثمانية والنكبات والازمات التي عانى منها الشعب العراقي على مدار قرون طويلة وكيف اسهمت كل تلك الاحداث في ازمة تشكل الهوية.

# المبحث الاول

## الاسس المفاهيمية لمصطلح (الهوية)

### اولا: مفهوم الهوية

**1- الهوية لغة واصطلاحا.**

يشتق المعنى اللغوي لمصطلح الهوية من الضمير (هو) ، وهو مركب من تكرار الضمير هو ، فقد وضعه كأسم معرف بال ومعناه الاتحاد بالذات ، لغة الهوية بضم الهاء وكسر الواو وتشديد الياء المفتوحة نسبة مصدرية للفظ هو وهي استعمال حادث ، اما الهوية بفتح الهاء فهي البئر البعيدة المهواة ، والموضع الذي يهوي ويسقط من وقف عليه ، والمرأة التي لا تزال تهوى [243].

اما اصطلاحا فيعني التشخص والشخص نفسه والوجود الخارجي، وقال اخرون (ما به الشيء هو باعتبار تحققه وباعتبار تشخصه يسمى هوية...)، وهي حقيقة الشيء وصفاته التي يتميز بها عن غيره، وتظهر بها شخصيته، ويعرف بها عند السؤال عنه بما هو؟ او هي؟ وتقوم هوية كل امة على ما تتميز به عن غيرها، مثل دينها ولغتها وقوميتها وتراثها، ويكون مفهومها الى ما يكون به الشيء اي من حيث تشخصه وتحققه في ذاته وتميزه عن غيره فهو وعاء الضمير الجمعي لأي تكتل بشري. [244] ومفهوم الهوية لا يستغنى عنه وفي الوقت نفسه غير واضح، انه مصطلح موشوري متعدد الاوجه، فأريك اركسون يصفه " بانه منتشر في كل مكان لكنه غامض"، فيما يسخر ليون ويسلتييه في كتابه "ضد الهوية" من ذلك المفهوم، فيما يرى هنتنغتون ان

للمصطلح تعريفات عدة بحسب المفكرين، فالهوية عند بعضهم هي احساس الفرد او الجماعة بالذات ، فيما يشير الى ان الامم ما هي الا مجموعات متخيلة ، فالناس يصنعون هوياتهم تحت درجات مختلفة من الضغط والاقناع والحرية، فالناس احرار في تعريف هوياتهم. [245]

حاول بعض المفكرين تفسير ظاهرة غياب الهوية ، فالباحث علي الدين هلال يرجع ذلك الى المستويات الثلاث للهوية ، نبدأ بالمستوى الفردي الذي يرى به ان شعور الفرد بالانتماء الى جماعة او اطار اكبر شكه في منظومته القيمية وتوجهاته الشخصية ، لذا فهي حقيقة فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة وبعملية التنشئة الاجتماعية ، اما المستوى الاخر والذي يعرف بدلالة (التعبير السياسي الجمعي) اي هوية الفرد تتشكل عن طريق انتمائه للتنظيمات والاحزاب والهيئات الشعبية ذات الطابع التطوعي والاختياري ، اما المستوى الثالث فيتشكل عن طريق المؤسسات التي توجدها الدولة . [246]

وقد تباينت وجهات النظر والمقولات العلمية والثقافية حول مفهوم الهوية وماهيتها، فيرى آلان تودين ان الهوية انعكاس للمجتمع الذي تتواجد في فيه وتتطور بتطوره ، فهي في المجتمع التقليدي تعبر عن التقسيمات الاجتماعية والولاءات الموجودة فيه ، في حين انها تعبر في المجتمع الحديث عن العلائق الاجتماعية التي تربط عناصره ، فهي تتطور بتطور المراحل التي يمر بها المجتمع، ففي مراحل نشؤها الاولى حمل الافراد الهويات التي كانت سائدة في المجتمع تماشيا مع الثقافة السائدة فيه دينية كانت او اثنية ، وتطور الزمن وظهور الدولة القومية حمل الافراد ذلك الفكر وتلك الهوية .[247] اما حسن حنفي فيرى ان الهوية هي بعمقهما وشموليتها لا تقتصر على ما هو قومي او ديني او مناطقي او المشترك الوهمي من قبيل اللغة والتاريخ والتوجه، بل هو ابعد من كل ذلك وأكثر شمولية والمتمثلة بالهوية

الانسانية حيث يقول " الهوية انسانية تتجاوز الحدود الجغرافية والعرقية واللغوية والثقافي. توجد قيم انسانية عامة مثل الحرية والعدالة وافقت عليها الانسانية على مدار التاريخ ...".[248]

لم يظهر مفهوم الهوية الا ـفي العصر الحديث خاصة بعد ظهور الدولة بمفهومها الحديث، واستخدم للدلالة على الانتماء للوطن والانتساب اليه، وهو مفهوم اخذ اهتماما خاصا عند الباحثين السياسيين والعلوم الاجتماعية، ـفي فيطرحه المختصون على انه المفهوم الذي يكونه الفرد عن فكره وسلوكه الذين يصدران عنه نتيجة المفاهيم الاعتقادية والاجتماعية، لذا فهي مجموعة من العقائد والمبادئ والخصائص والميزات التي تشعر الامة بتمايزها عن غيرها .[249]

ان مفهوم الهوية هو مفهوم متغير وغير محدد الملامح وفي حالة تجدد دائم، من خلال الافراد والجماعات ونوعية العلاقات الموجود بينهم، وفي كل ذلك يقوم شعور الانتماء بوضعيته الخاصة ـفي تأكيد الهوية ورسم حدودها .

فالهوية الوطنية بمفهومها العصري تعرف بكونها الفكرة التي تعكس وتحدد سمات الشعب او الامة، وهي نتاج خصائصه الثقافية الجماعية التي تشبع الامة بشعور محدد وتضع الاسس التي تبنى عليها حياة سياسية مستقرة ـفي البلد، وهي تعني ايضا التماسك الاجتماعي والوحدة السياسية، لذا هي تعني تخطي كل الولاءات الاخرى دون ان يؤدي ذلك الى محوها.[250]

يثير التباس مفهوم الهوية الوطنية وعدم وضوحها معظم الطروحات الثقافية ـفي العالم ، فهو مصطلح يثير الخلاف بين المنظرين له والمتحدثين به ، اذ ان المتحاورين بماهيته ومفهومه يتفقون على اهميته الجوهرية ـفي

ارساء الوحدة الوطنية على اسس راسخة ، لكنهم نادرا ما يتفقون حول ابعاده الفكرية والثقافية والسياسية ، فالمفهوم يمكن ان يصاغ وفق الرؤية الايدلوجية لجهة معينة او البعد السياسي لطرف اخر وهي بالتالي تنتج تصورات كثيرة قد تكون متوافقة او مختلفة في اسسها التنظيرية او الاهداف المرسومة لها ، وهو ما يغير البعدين الموضوعي والمعرفي للمفهوم ، ويقلل من قيمته الفكرية وفعاليته الاجرائية على ارض الواقع ، فيجعل منه دافعا نحو الفرقة والتناحر بدلا من التوحد والتعاضد ، لذا يمكن القول ان الهوية ليست معطى ثابت ونهائي وانما هي معطى تاريخي في حالة صيرورة وحركة دائمين ، لذا كان المصطلح عرضة للنقد والمراجعة والتقويم لغرض تحسين فاعليته ووظائفه الاساسية في توحيد المجتمع وبناءه.[251]

## ثانيا: مصادر الهوية.

ترتبط مصادر الهوية الانسانية بوجود شبكة من العلاقات التي تتدرج في الخصائص الحضارية المشتركة وهي:

1- السمات السياسية: مثل الانشقاق ضمن الجماعة، القائد، الجماعة ذات مصلحة معينة، الحركة، القضية، الحزب، الايديلوجيا، الدولة.

2- وجود ذاكرة تاريخية مشتركة.

2- السمات الثقافة: مثل العشيرة، القبيلة، الاثنية، اللغة، القومية، الدين، الحضارة.

3- السمات الاقتصادية: مثل الوظيفة، المهنة، مجموعات العمل، الصناعة، القطاع الاقتصادي، المستثمر.

4- السمات الاجتماعية: مثل الاصدقاء، الزملاء، المكانة الاجتماعية.

5- السمات الاقليمية: مثل الجوار، القرية، البلدة، المدينة، الاقليم، البلد، المنطقة الجغرافية.

6- السمات الشخصية: مثل العمر، السلالة، الجنوسية، القرابة (قرابة الدم، والاثنية).[252]

**ثالثا: معوقات تشكيل الهوية.**

1- تغييب الهوية الوطنية الجامعة وابراز الهويات الفرعية، فغياب الهوية الجامعة تعد من المشكلات العامة وهي أحد مفرزات الاستبداد السياسي التي تنتج التعصب والتمييز بكل اشكاله.

2- الطائفية السياسية: وهي ترتكز الى مجموعة من الساسة الذين يستغلون الدين او المذهب للحصول على المقبولية السياسية والوصول الى السلطة.

3- الطائفية الدينية الاسلامية: وهي ستند الى الدين الاسلامي بصفته الموجه والمحرك لسلوك الدولة والجماعات ، وتكون ذات بعد تاريخي يستحضر تاريخ الدولة الاسلامية ، ويتجسد بحلم اعادة امجاد الدولة الاسلامية ي عهودها الاولى ، ويبدوا ان هذه غير ابهة بالحقائق المستجدة والمتغيرات الاجتماعية التالية ، فهي تقفز فوق طموح الجماعات والافراد وتبدد طموحاتهم، لذا فان هذه الهوية تكون في الغالب ذات طابع شمولي لاستنادها الى الهوية الاسلامية والتي تعتبر ذات طابع شمولي احادي التوجه ، فهي تهمل حقوق ابناء الديانات الاخرى في المشاركة (السياسية والاجتماعية) .[253]

لذا يمكن القول ان الدين قد يلعب دورا اساسيا او ثانويا في تشكيل الهوية حسب الجماعات المرتبطة به، لكن الدين لم يكن عاملا اساسيا

للشعوب في تشكيل هويتها ، ولو كان كذلك لوجدنا ان الهويات حول العالم محددة بالأعم الاغلب حول الديانات الكبرى (السماوية وغير السماوية).[254]

4- الهوية القومية : ان تعدد القوميات والهويات الفرعية تعد ن عوامل الازمة الحقيقية في اي مكان ، فالدولة الشمولية الحكمة تحاول دائما ان تفرض نوع من السلطوية الفوقية للقومية الحاكمة، وهذه بدورها تحاول ان تهيمن كليا على شكل القوميات الاخرى، متخذة من وقائع (اللغة والثقافة) كأسس لذلك التميز ، وبصفتها حالة فوقية لهيمنة الدولة ، لذا فان الدولة الناشئة بهذه الصورة تستند الى شكل الدول التي نشأة في اوربا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. [255]

5- العنف السلطوي : ان العنف السلطوي هو احد معوقات تشكيل الهوية الوطنية الجامعة ، فقد كان للسلطة السياسية دور كبير في تصدع الهوية الوطنية وذلك بسبب تبنيها الاستبداد والعنف كأسلوبين لإدارة التنوع القومي والديني والمذهبي ، ويشير فارس كمال نظمي الى ذلك بقوله " **ان الهوية الوطنية لدى الفرد العراقي تعرضت للكثير من التشويه جراء ممارسات السلطة السياسية ، وان هذه السلطة لم تنبع من ذوات الفراد بشكل تلقائي ، بل تمت من خلال ما مارسته الدولة ونخبها المؤطرة بايدلوجيا اقصائية مارست عملية الصهر والدمج القسري لجميع مكونات الشعب العراقي على اختلاف اطيافه العرقية والدينية والمذهبية ، لذا فان هشاشة هذه الهوية هو العامل الاساس وراء ديمومة التوتر والعنف في الوضع السياسي والاجتماعي في العراق**" .[256]

ان اتباع القسرية السلطوية قد يؤدي الى تغليب مرادات السلطة الحاكمة وشيوع أيديولوجيتها، وقد تنتج اندماجا مجتمعيا ظاهرا، لكن ذلك سيقود حتما الى سكون الهويات الفرعية بصورة مؤقتة ولا تؤدي اندماجا مجتمعيا حقيقيا، وان الزيادة في استعمال القوة بغية تشكيل الهوية الوطنية الجامعة قد يدفع بالهويات الفرعية الى التمسك بقوة بقيمها التاريخية والجغرافية وتسمو في تطلعه فوق الهوية الجامعة التي تسعى المؤسسة (الدولاتية) الى تطبيقها قسرا ، وتؤدي الى شرخ وتصدع في جدار الهوية الجامعة .[257]

6- الهويات الفرعية : تعتبر نمو الهويات الفرعية (المناطقية) احد وسائل ضعف تشكيل الهوية الكلية الشاملة للدولة ، فالقبلية والعرقية من عوامل ذلك الضعف ،[258] فالشعب العراقي شعب متعدد القوميات والاديان ، ذا فان ذلك التنوع مع غياب ايديلوجية الدولة الجامعة الواعية يؤدي في اغلب الاحيان الى زيادة عوامل التنافر والفرقة ، ووجود ذلك مع غياب الثقافة السياسية العليا يؤدي الى عدم الاستقرار السياسي والمجتمعي لاي بلد.[259]

ان كل تلك الاسباب خلفت حالة فريدة من غياب الهوية الوطنية العليا ، فالعراق منذ سقوط الدولة العباسية عام 1258 م تعرض لقرون من الخضوع والتشرذم والتمزق ،وفرض على العراقيين ثقافة ابوية سلطوية خانقة وانقسامات اجتماعية واضحة وصراعات سياسية واضحة تركت اثرها على ايجاد هوية وطنية جامعة يجتمع العراقيون تحت مظلتها ، ونتيجة لذلك لجأت الجماعات والافراد الى التوجه نحو الولاءات الفرعية (لقومية والدينية والمذهبية والقبلية والمناطقية) ويرجع سبب ذلك لعجز الدول التي حكمت العراق عن تشكيل هوية جامعة يمكن الركون اليها دون الهويات الفرعية.[260]

## المبحث الثاني

### الاسباب العامة لأزمة تشكل الهوية العراقية.

كان العراق بلدا مهما لاسيما بعد نشوء الدولة الاسلامية ، فالعراقيون كانوا يشعرون بهويتهم المائزة عن الهويات الاخرى في المنطقة العربية، وقد اولى النبي وخلفائه اهمية ملحوظة لهذا البلد واعطوه خصوصيته الواضحة ، فقد ذكر ابن عساكر حديثا عن النبي رواه محمد بن ابراهيم الانباري عن ادم بن ابي اياس عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله "اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وفي شامنا وفي يمننا وفي حجازنا قال فام رجل فقال يا رسول الله وفي عراقنا فامسك النبي عنه فلما كان اليوم الثاني قال مثل ذلك فقام اليه الرجل فقال يا رسول الله وفي عراقنا فامسك النبي فلما كان اليوم الثالث قام اليه الرجل وقال يا رسول الله وفي عراقنا فامسك النبي فولى الرجل وهو يبكي فدعاه النبي: امن العراق انت قال نعم قال ان ابي ابراهيم عليه السلام هم ان يدعو عليهم فأوحى الله تعالى اليه لا تفعل فاني جعلت خزائن علمي فيهم واسكنت الرحمة قلوبهم".[261]

ان ما يعنينا من هذه الرواية ان الرجل العراقي خاطب النبي ليس بصفته القبلية او المناطقية بل بصفته الكلية وهي انه قل (وعراقنا)، ويبين لنا فعل الرجل وبكائه بعد ان امسك النبي دعائه لأهل العراق انه ابتعد باكيا وذلك يظهر حجم التمسك الكبير ببلده .

وقد ميز الخلفاء العراق واعطوه مكانة خاصة ، فالخليفة عمر (رض) قال " الكوفة رمح الله وقبة الاسلام وجمجمة العرب ...".[262] وما ينقل عن معاوية في وصيته لابنه يزيد لما حضره الموت انه قال " ...، وانظر اهل

العراق ، فان سألوك ان تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل ، فان عزل عامل احب الى ان تشهر عليك مائة الف سيف ..."[263]

يظهر من وصية معاوية لولده اهمية العراق الكبيرة وشخصية سكانه وثقلهم بالنسبة للدولة الاسلامية بحيث انهم يستطيعون ان يغيروا الخارطة السياسية آنذاك ، لذا كان للعراق اهمية واضحة في التاريخ الاسلامي وخلال الحقب المختلفة ، لكن ذلك اختلف جذريا لا سيما بعد سقوط بغداد عام 1258م.

سهل سقوط بغداد دخول طوائف واثنيات واقوام جديدة الى العراق ، فضلا عن الهجرات البدوية التي وفدت اليه ، كما استقبل هذا البلد موجات من الغزوات القبلية الاسيوية التي عاثت به فسادا وتخريبا، لقد احدثت تلك الغزوات تغيرات بنيوية في المجتمع العراقي واحدثت شرخا كبيرا بالثقافة العراقية والتعايش المجتمعي ، فقد شهدت المدة بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية تسلط العديد من الدول والقبائل الغازية مثل المغول والتركمان والاتراك والفرس وغيرهم ، وادى كل ذلك الى حروب ونزاعات وصراعات وكوارث واوبئة وهجرات وتغيرات ديموغرافية وتخلل في المنظومات القيمية فضلا عن المدخلات الهجينة للثقافات الواردة ، وفي النهاية وقع العراق وشعبه ضحية صراعات مريرة بين الدولتين الكبيرتين الطائفيتين وهما الدولة العثمانية والصفوية، تلك الصراعات تركت اثرها على التشكل البنيوي للمجتمع العراقي واوهنت تجانسه واضعفت وجوده المستقل .[264]

هذه الاحداث الاجمالية اوجدت سلطات محلية ضعيفة ومفككة وعززت وجود الطوائف والجماعات الدينية، وانمت القبلية والعصبية بين الاهالي، وافقدت الناس الشعور بوجود الدولة والسلطة الجامعة .[265]

كان الشعور المتراكم عند العراقيين بالجامعة الاسلامية والدولة الظالمة والدين الشامل وراء فقدانهم الشعور بهوية محددة ، فالمجتمع العراقي كان متذبذب الهوية مناطقيا وانتمائيا ، فهناك انقسام هوياتي بين عربه وكرده وبين اديانه ومذاهبه ، وهذا كله شكل حاجزا لبناء هوية موحدة ، كما كان التراكم الكلي للأفكار الطاردة للنشوء الهوياتي سببا لازمة الهوية الواضحة ، فالمجتمع العراقي كان مجتمعا منتسبا بصورة كلية لسلطة جامعة احادية التوجه وهي سلطة الدولة الاسلامية منذ نشوئها حتى سقوط الدولة العباسية 1258م، وهذه السلطة قد نظرت ووجهت لقرون طويلة شكل الدولة الكلية الجامعة وليس لوجود هوياتي لكل جزء منها، وعزز ذلك فقدان الحدود بين الامصار وعدم وضوح الشكل النهائي للوجود السلطوي او حدود دولته او شكل السلطة الفارضة لإرادتها، فهذه السلطة تحاول قدر الامكان ان تظهر متجانسة وموحدة ( تهتم بالإسلام) بصفته العامل الموحد لها والحافظ لوجودها، اما شكل الاقليات الاخرى داخل هذه الدولة الكلية فهي لا تعني كثيرا لها، فالمختلفون دينيا مهما كان ظرفهم فهم يعدون مواطنين من الدرجة الثانية تفرض عليهم حقوقا مالية لا تفرض على المسلمين ،[266] اما المسلون غير العرب الرافضين للهيمنة الدولاتية الاسلامية قد شرعت السلطة الحاكمة ضربهم او الحط من قدرهم ، من خلال احاديث وضعت هنا وهناك ، فالأكراد على سبيل المثال كانوا رافضين لسلطة الدولة الحاكمة فما كان من الاخيرة الا ان ضربتهم وسخرت احاديث للحط من وجودهم ، فمثلا ذكر المسعودي رواية مفادها " ومن الناس من الحقهم بإماء سليمان بن داود عليه

السلام حين سلب ملكه ووقع على امائه المنافقات الشيطان المعروف بالجسد ، وعصم الله منه المؤمنات ان يقع عليهن ، فعلق منه المنافقات ، فلما رد الله على سليمان ملكه وضع تلك الاماء الحوامل من الشيطان ، قال: اكردوهن الى الجبال والاودية ، فربتهم امهاهم ، وتناكحوا ، فذلك بدء نسب الاكراد"،[267] وذكر الشيخ الكليني عن ابي عبد الله انه قال " يا ابا الربيع لا تخالطوهم فان الاكراد حي من احياء الجن كش الله عنهم الغطاء فلا تخالطوهم" ،[268] وروى ابن ادريس الحلي في اجتناب معاملة الاكراد ما نصه " ولا ينبغي ان يخالط احد من الاكراد ، ويتجنب مبايعتهم ومشاراتهم ومناكحتهم ..." ،[269] لكن في الحقيقة هم لم يكونوا الا بشرا عاديين كانوا يطالبون بوجودهم الهوياتي المميز عن غيرهم ، لكن ذلك لم يكن يلائم الشكل الحاكم للسلطة فأوردوا من الروايات ما يحط من نسبهم او وجودهم الانساني ، وليبعدوا عنهم حقهم في المطالبة بوجود هوياتي مميز لهم .

اما غيرهم من الطوائف العراقية فكانوا عرضة لسطوة السلطة وظلمها واخضعتهم لأيديولوجيتها، فالشيعة تعرضوا للعنف ذاته من الحكومات المتتابعة ، وكذا الحال مع سقوط الدولة العباسية.[270]

لم تكن السلطات التي حكمت العراق بعد سقوط الدولة العباسية لتحاول ان تجد هوية مميزة لشعبها بل عملت على فرض ارادتها بصورة قسرية حتى غدا الشعب العراقي مفككا يبحث عن الحياة بالدرجة الاولى قبل بحثه عن ايجاد شكل هوياتي لوجوده، هذا الامر اوجد تشظيا مجتمعيا داخليا ، فاوجد فجوة بنيوية كبيرة وتقسيمات واضحة بين سكان المدن والريف والبادية وشظى تلك المسميات الفرعية ففتت المفتت وجزأت المجزء ، فالمدينة كانت مجزأة بين ما هو طائفي (سني و شيعي) واقليات دينية فضلا عن الزعامات الحاراتية والشقاوات المناطقية، اما الريف فقد

جزء بين الزعامات الاقطاعية والفلاحية المسحوقة ، وكذا الامر ايضا مع البدو ، فالزعامات كانت هي المسيطرة والراسمة للوجود ، فتلك الزعامات كانت هي المسيطرة والراسمة للوجود او الانتماء والتوجه القبلي ولم تكن للاكثرية داخل القبيلة حق ابداء الراي او صناعة القرار . هذه التقسيمات اوجدت قطيعة معرفية وبنيوية وسيسيولوجية بين الشعب الواحد، وافقدته القدرة على التفكير لايجاد هوية قادرة على ردم المختلفات او ايجاد مشتركات جامعة، امام كل ذلك لم يكن هوى السلطة الحاكمة او مزاجها وحتى تفكيرها نحو ايجاد كيان هوياتي لكيان الشعب او كيانها .

لم يكن الهوى العام او حتى التفكير الشخصي للقادة العثمانيين نحو ايجاد جامعة هوياتية خاصة للدولة الحاكمة او للجماعات ضمنها، فالشعور القومي نمى بالضد من النزعات الدينية الشاملة ، ولم يكن ذلك الاشتغال خاص بالشرق بل كانت فكرة اوربية انطلقت بعد الصراع الكبير الذي خاضه مفكرو عصر النهضة ضد الكنيسة ، وما طوره بعدهم مفكرو عصر الرومانسية والثوريون الاوربيون الذين دعوا الى تشتيت الكيانات الكبرى والدعوة الى ايجاد دول على اساس قومياتي.[271]

هذه الدعوات الفكرية او التنظير كان يحتاج الى مفكرين ومنظرين يتحركون خارج حدود معتقداتهم ومتبنياتهم الدينية ويعملون على الكتابة في يد وامساك معول لهدم ما ركز في اذهانهم واذهان الناس باليد الاخرى، لكن مثل هؤلاء لم يكونوا ليوجدوا في بلد مثل العراق تتقاذفه الطائفية والامية والقبيلة والسلطة القامعة من يد الى اخرى ، فالثقافة العامة للبلد كانت قائمة على اساس ديني بحت ولم يكن هنالك تفكير حتى بنبذ الموروث او انتقاده او التخلص من الفكر الاحادي القائم ، بل ان التفكير كان قائما على اسس دينية تناقش عدالة الحاكم وضرورات اتباعه ، ولم يكن هنالك توجه نحو

بناء دولة انسانية ذات هوية خاصة تجمع المختلفات الدينية والقومية والفكرية والاثنية .

امام كل ذلك صار لزاما علينا مناقشة ذلك واستبيان الاسباب العامة لازمة تشكل الهوية العراقية منذ سقوط الدولة العباسية حتى سقوط الدولة العثمانية ؟

كان العراق ساحة للتصارع على النفوذ بين الدولة العثمانية والصفوية ولما كان العراق الجزء الاهم في المنطقة بالنسبة لهما فمنه يتم السيطرة على تجارة الخليج والبحر الاحمر وتجارة الهند ، لذا كانت مهمة السيطرة على هذا جزء من المنطقة من اساسيات السياسية التوسعية للدولتين ، لذا كان يجب تهيئة الارض المناسبة والاكثر صلابة للانفراد بالسيطرة الكلية على العراق، لذا كانت الصبغة الطائفية هي الاساس لإسباغ السيطرة على البلد ، وقد عزز ذلك التوجه الاسس التي قامت عليهما الدولتين الصفوية والعثمانية [272].

لم يكن العراقيون شعبا واحدا او جماعة سياسية واحدة وهذا يعني تشظي المجتمع العراقي الى اقليات كثيرة (عرقية ودينية) مثل الاكراد والتركمان والفرس والارمن والاشوريون واليهود والصابئة والايزيديون ، كما ان العرب وهم الاكثرية كانوا يشكلون جملة من الجماعات المتمايزة فيما بينها والمغلقة على الذات رغم بعض صفاتهم المشركة ، ولم يكن ذلك التمايز ليشمل الجماعات العرقية والدينية فقط ، بل شمل ذلك الهوة الشاسعة التي فصلت المدينة عن الريف ، فكان عرب المدينة والعشيرة يعيشون في عالمين مختلفين منفصلين ، فالتباعد ذلك كان بالدرجة الاساس تباعدا اجتماعيا ، فهم يختلفون في العادات والتقاليد وطرق المعيشة ، فأهل المدن كانوا اقرب

للخضوع للسلطة من اهل العشائر الذين يعيشون بحرية اكبر، كما ان اهل المدن كانوا اقرب للتمسك بالعادات الاسلامية والخضوع لرجال الدين من اهل العشائر، ولم يكن الانقسام ينطبق على هاتين الفئتين فقط ، فأهل العشائر كانوا مقسمين ايضا بين الفلاحون والمعدان (سكان الاهوار) واهل البادية الذين يعتبرون نخبة المجتمع العشائري ويرفن الاتصال بمن دونهم ، اما اهل المدن فان الروابط بينهم ضعيفة وغير مترابطة ، فالمدن كانت مقسمة الى محلات ومجموعات تنتمي الى عقائد دينية او طبقات مختلفة وهي من اصول عشائرية مختلفة ، وغالبا ما كانت تميل الى العيش في محلات منفصلة، وكان سكان المحلة في اغلب الاحيان يعيشون في عالمهم الخاص وقوانينهم الخاصة ، اما مثقفوهم فهم نادرا ما يفكرون بالجماعة او بالمصلحة الكلية بصورة اوسع ولم يكن لديهم فهم حقيقي لمفهوم الجماعة ، اما الاقليات مسيحية واليهودية فكانوا يتمتعون بأحياء خاصة بهم (في بغداد) ولهم استقلالية في شؤونهم العبادية والشخصية، ولم يقف الامر عند هذا الحد فالمحلات كانت متصارعة ايضا لأسباب اقل ما يقال عنها انها اسباب سطحية بسيطة يكون غالبها للاستئثار بالسطوة او اتباع كبير المحلة ، فمحلات النجف كانت متصارعة وكذا الحال في مدينة السماوة ، فخلال الحرب العالمية الاولى وقف حي الشرقي الى جانب البريطانيين بينما حافظ اهل الغربي على حيادهم وولائهم للعثمانيين ، وكان لكلا الحيين شيخهما الخاص ، وكثيرا ما شنوا حروبا بالسكاكين والمسدسات والاحجار والهروات ، وكذا الحال كان في محلات بغداد حيث الخلاف بين باب الشيخ والحيدخانة وبقية المناطق الاخرى .[273]

لم تكن الرابطة المجتمعية في العراق قائمة على اسس متينة بل كانت على اسس متشظية متناحرة ، فالمجتمع العراقي كان مقسا الى فئات ثلاث

مختلفة هي (سنية وشيعية وقومية كردية) ولكل واحد من هذه الجماعات ذاكرته الخاصة وثقافته التي تميزه عن غيره من الجماعات ، وان عملية الترابط والتواصل بينهم هي عملية واهنة ، لذا هيئات هذه المعطيات امام تلك الجماعات لفكرة النفرة عن الدولة الشمولية .[274]

فالجماعة الشيعية تعطي القدة لعلمائها الدينيين بصورة كبيرة وتمنحهم ادوارا قيادية واضحة، ويوكلون لهم مهمة ادارة شؤونهم الخاصة مع وجود سلطة الدولة، فقد نظروا لذلك فكريا من خلال الاحاديث المنسوبة الى النبي واهل بيته من قبيل (الفقهاء امناء الرسل) وحديث الامام الصادق (الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك)،[275] اما قيادات السنة في العراق فكانوا جزءً من منظومة الدولة وجهازها الحاكم لا سيما خلال مدة السيطرة العثمانية .[276]

اما الاكراد فهم - بحسب الكاتبة الامريكية لوكيتز – " يعيشون في صراع متعدد الابعاد ، قومي واقتصادي وثقافي ، فهو اكبر من كونه عدم تقبل المجموعات القبلية الكردية للدولة العصرية بل كان صراعا من اجل الحفاظ على ثقافتهم امام التغيرات التي تهدد وجودهم الاجتماعي ، وادى ذلك الى بذل الجهود من اجل الحفاظ على الولاءات الشخصية ، وعدم التخلي عنها في سبيل هدف اكبر واكثر تعقيدا، ترى انه لم يكن واضحا لهم بعد في تلك الفترة . فتشير الى ان لهذا السبب نجد ان مفاهيم السيادة الوطنية والوحدة الثقافية في عملية بناء الدولة لم يكن لها تأثير على تلك المجموعات القومية الا ظاهريا ، وبقي احتمال غرس الشعور بالوحدة الثقافية وتبديل الولاءات الموروثة بهوية وطنية محددة امر صعب التحقيق" .[277]

فالجماعة الكردية كانت تدار من قبل زعاماتها الدينية والعشائرية، وغالبا ما كانت الزعامات العشائرية هي نفسها تمثل الزعامات الدينية ، فزعاماتهم تلك كانت زعامات دينية صوفية تطورت شيئا فشيئا الى زعامات قبلية ذات نزعات قومية ، ففي قرى اربيل التي كانت حتى القرن التاسع عشر تؤلف 65 قرية كان منها 45 قرية مملوكة لشخص من اعيان المدينة ، فالفلاحون كانوا اقل مرتبة اجتماعية من الاغوات ، وهم خاضعون لهم بصورة كلية ، وكذلك يختلف اهل المدن الاكراد عن اهل العشائر اختلافا منظورا ، فالمجتمع الكردي كان مقسما ايضا وموجها من رجال الدين والاغوات والمتنفذين فيه [278].

حاولت الدولتين العثمانية والصفوية تسنين العراق او تشيعه وايجاد هوية دينية مميزه له وادماج الهويات الفرعية الاخرى وجعل العراق احادي الون ، كما حدث في ايران خلال فترة السيطرة الصفوية وإجراءات القزلباش فيها ،[279] وبين سيطرة سليم الاول ومحاولاته تسنين الدولة العثمانية والمذابح الكبيرة التي فرضت على الشيعة 1517 والتي مهدت لها فتاوى علماء الدين التي اجازت قتلهم، [280] لذا حاولت قيادات هذين البلدين عكس تلك الحالة على العراق متجاهلين او غافلين عن الاختلاف السيسلوجي والتركيبة الذهنية لعقلية العراقية ،لكن رغم ذلك وجد كل من هذين المحتلين موطئ قدم لهما بين الطائفتين ( السنية والشيعية ) في العراق فهذا البلد كان ضحية ذلك الصراع الذي امتد خلال السنوات ( 1508، 1534، 1623، 1638) وخسر خلال تلك المعارك اكثر 40 الف انسان ، فإسماعيل الصفوي الذي احتل العراق 1508 حاول ان يشيع العراق ويطمس كل شاخص به لهل السنة ، وحاول ان يطبق ما نجح به في ايران من خلال فرض مذهب التشيع بالقوة والسطوة والقتل ، فهدم قبور موز

اهل السنة وذبح الكثير من علمائهم وعامتهم واشاع سب الخلفاء كم فعل القزلباش في ايران.[281]

لم تنتهي الاجراءات الصفوية عند الشاه اسماعيل الصفوي فقط ، فقد حذا بعض الشاهات حذوه لاسيما الشاه عباس الكبير الذي غزا بغداد عام 1623 وحاصرها ، حتى ان الناس فيها اكلوا الجيف والموتى والحمير ، ولما استقام الامر للجيش الصفوي قتل الالاف من السنة بعد وعدهم بالأمان ، وبيع الالاف منهم كعبيد خارج العراق ؟ وكان نية الشاه افراغ بغداد من اهل السنة وتغيير الهوية المجتمعية لها ، ويذكر عباس العزاوي ان السيد دراج (كليدار الحضرة الحسينية ) كان له دور كبير في الحفاظ على اهل السنة في بغداد، فقد سجل اهل السنة بصفتهم محبين لآل علي .[282]

ويذكر الوردي في معرض حده عن تلك الحوادث وردة الفعل العثمانية تجاهها ، ان احد الدراويش دخل المسجد الذي كان يصلي به السلطان مراد الرابع وعندما لمحه صاح في وجهه " انت تخفي نفسك بين حرسك وحريمك لاهيا بالأنس والطرب ... اما علمت ان الروافض هدموا قبر الشيخ عبد القادر " عند ذلك اقسم السلطان بأغلظ الايمان انه سينقذ بغداد ويعمر قبر الشيخ عبد القادر .[283]

ان هذه الحادثة ان صدقت تبين حجم التوجه الديني الطائفي الذي كان يشغل السلاطين رغم ما عليه من الهو والطرب؟ فالسلطان لم تحركه المذابح الكبيرة التي حدثت في بغداد بقدر ما حركه هدم قبر الشيخ عبد القادر الكيلاني لانهم كانوا يعتقدون ان اساس استمرار دولتهم هو تعزيز النزعة الدينية الطائفية .

لم ينج اهالي بغداد من بطش الدولة العثمانية بعد ذلك ، فمراد الرابع احل بالشيعة السيف وقتل منهم خلقا كثيرا حتى وصل عددهم بحسب لونكريك الى 20 الفا ، ووعد ببناء قبة الشيخ عبد القادر الكيلاني واوقف لها اوقافا كثيرة كلها كانت من املاك الشيعة ،[284] وعمل السلطان على حرق كتب مكتبات الشيعة كردة فعل على حرق مكتبات اهل السنة من قبل الشاه الصفوي ، ولم ينجوا الشيعة من بطش مراد الرابع حتى خرج اهالي بغداد صفوفا بأطفالهم ونسائهم وهم يصرخون (الداد - امان) فاصدر السلطان امرا بمنحهم الامان .[285]

ان هذه الاحداث مجتمعة شظت الهوية العراقية وحولت الانتماءات الكلية الى انتماءات اضيق ، بل عززت الانتماءات الطائفية بصورة كبيرة، فالسياسة العليا للدولتين المتصارعتين كانت تهدف الى تحويل الولاءات الى اشكالها الطائفية لغرض فرض نفوذ من خلال التوجه الطائفي ، لذا تقوقعت فئات المجتمع العراقي وانكمشت نحو التوجهات الطائفية او المناطقية والقومية بغية ارضاء نفوذ الدولة الحاكمة او الهروب من سطوتها واحادية توجهها .

لم تعمل الدولة العثمانية طيلة فترة سيطرتها على العراق وبقية الاقاليم على ايجاد هوية جامعة مميزة او دعم الهويات الفرعية ضمن نطاق توجه الدولة الحاكمة ، بل على العكس من ذلك حاولت ان تعزز الهوية الدينية الطائفية بما يتلاءم وتوجهاتها ، فقد فرض قودا على الاديان والمذاهب المخالفة لها وكذا الامر مع الاقليات القومية ، فالطائفية كانت سارية المفعول في السياسة والتعليم وحتى اللغة الرسمية ، فالولاة كانوا يفرضون على الاقاليم كافة سياستهم التعسفية الطائفية ، وحاول الولاة فرض هوية الدولة التركية وافعال ذلك في المجتمع العراقي من خلال التعليم ، وبهذا

الصدد يشير عبد الرزاق الهلالي الى ذلك بقوله " **كان الولاة في مختلف الادوار ، - تظاهرا منهم بالاخلاص للدين ورجاله - يقومون بتأسيس المدارس، ويوقفون لها الاوقاف الخيرية ، في حين كانت الطائفة الجعفرية تقوم بانشاء المدارس الخاصة بها بعيدا عن تشجيع الولاة او مساعدتهم المالية. بل معتمدين في ذلك على الحقوق الشرعية ، وما يرد لها من اموال التركات والاوقاف والتبرعات والهبات التي كان يقدمها المحسنون من ابناء الجعفرية انفسهم لهذه المعاهد الدينية ... ان هذا الاختلاف في منابع الدراسة ، واسس التحصيل العلمي احدث –ولا شك- شقة بعيدة بين ابناء الشعب الواحد** "[286] وبهذا صار العراق امام مصدرين من مصادر التعليم ، احدهما رسمي يسعى الى تتريك العرب من خلال المدارس الرشدية ، ويحاول فرض التراث والثقافة التركية ، واخر شعبي يتم التركيز فيه على اللغة العربية والثقافة الاسلامية.[287]

ان هذا الاسلوب التي اتبعته الدولة العثمانية عزز بصورة او بأخرى التفتيت المجتمعي وسعى الى تعزيز الصبغة الطائفية ، فالفئات الاخرى في المجتمع العراقي كانت تنظر بعين البغض لهذه التفرقة مما دفعها الى الانكفاء على ذاتها والعمل بعيدا عن الدولة وسلطاتها ، فأنشأت لها هوية خاصة ذات ابعاد طائفية جاءت كردة فعل على الفعل الحكومي التمايزي.

لم يقتصر ذلك التمايز في العراق على الشيعة فقط ، بل شمل الاديان الاخرى مثل (المسيحية واليهودية وبقية الاديان) ، ما دفع تلك الاديان الى انشاء ثقافة خاصة بهم وتعليم خاص لاتباعهم لا سيما بعد صدور الاصلاحات العثمانية (همايون وكولخانة عامي 1839-1856) ، فاليهود والنصارى فتحوا مدارس خاصة بهم لها فكرها ومنهاجها وتعاليمها الخاصة والتي كانت تهتم بالدين والعقيدة اكثر من اهتمامها بالدولة والهوية الجامعة

ولم تكن افكار الدولة الواحدة او الشعب الواحد له اي امية في تلك المدارس او طروحاتها ما سمح لها بانتاج جيل متعلم ومجبول على الثقافة الدينية والمذهبية الضيقة .

لم تكن الدولة العثمانية تفرض سيطرتها الكاملة على معظم مناطق العراق في كل الاحيان ، بل ان بعض الاحيان فقدت سيطرتها على بعض المناطق وخاصة مدينة البصرة البعيدة نوعا ما عن مركز السلطة العثمانية في بغداد ، فنشأت زعامات محلية انفصلت عن سلطة الدولة العثمانية ومن تلك الزعامات اسرة ال افراسياب[288] ، ورغم اهمية فترة حكمهم في البصرة لكن محاولاتهم المهمة لاجراء مجانسة بين ابناء المذاهب والاديان والمدن واريافها كانت ناجحة بصورة ملموسة ، فقد نجحت في اسباغ الحقوق المدنية على اهل البصرة ولم تميز بصورة او بأخرى بين اديانها ومذاهبها ، لذا دافع ابناء الديانات من مسيح وصابئة عن المدينة بعد تعرضها للهجمات الصفوية والعثمانية، لكن تلك التجربة المهمة لو شاء لها ان تستمر لنجحت في ايجاد هوية مميزة للبصرة ممكن ان تكون فنارا لبقية المدن .

وكان بالإمكان ان تنشئ نفس تلك التجربة في بغداد لا سيما بعد سيطرة المماليك عليها وانفرادهم في السيطرة بعيدا عن سلطة الدولة العثمانية ، لكن المماليك انتهجوا نفس النهج العثماني المتمثل بالطائفية والتفرقة والتعامل الفوقي مما جعل تلك التجربة لا تبتعد كثيرا من حيث الفشل عن التجربة العثمانية،[289] فالأخيرة كانت تعتمد على الاسلام كامل توحي لإمبراطورتيها لكنه في العراق كان غير ذلك ، فالإسلام في العراق كان عامل فصل اكثر منه عامل قوة ، اذ انه نجح وبصورة كبيرة في بذر الخلاف والشقاق بين المذاهب والاديان ونادرا ما كان عامل وحدة بينهم، فجعل من العراقيين فئات غير

مختلطة اجتماعيا ، فالحكومة العثمانية في نظر الشيعة هي حكومة مغتصبة ولا تمتلك مؤهلات تطبيق الاسلام .[290]

استطاعت الدولة العثمانية وبامتياز ان تزرع روح الفرقة والمذهبية في الشعب العراقي ، ونجحت في تقسيم المدن عن المناطق الريفية ، ونعت مجتمعات عدة داخل جسد المجتمع الواحد لكل منهم خصائصه ومميزاته التي يرى بها اختلاف مميز عن الاخر ، ففي المدن تنوعت الولاءات وتعددت ، فولاء السكان لرجال الدين كبيرا لكن هنالك ولاء مماثل لبعض الاسر على اسس اقتصادية ووجهائية ، كما برزت(في بغداد مثلا) ظاهرة الولاء المناطقي بصورة واسعة ، وعزز تلك الظاهرة بروز شخصيات ذات تأثير واضح في عقول الناس الا وهي ظاهرة الشقاوات التي ترسم صورة غير نمطية لدفاع الانسان عن منطقته وايجاد هوية خاصة بتلك المناطق عن غيرها ، فالصراع بين المحلات كان امرا كثير الشيوع في بغداد وبعض المدن العراقية ، فخلال عهد المماليك جرت العادة انه حين ينشب نزاع بين فريقين منهم على الحكم تنتقل العدوى الى سكان بغداد ، فكل فريق يستنجد بأصدقائه من رؤساء المحلات والشقاوات وهؤلاء بدورهم يستحضرون اهل المحلة وهكذا تنشب المعارك بينهم.[291]

فشلت الدولة العثمانية في احكام سيطرتها على العشائر العراقية ، ولم تستطع ان تكسب ولائها للدولة رغم الحروب الطويلة التي خاضتها ضدها، فالعشائر كانت ترى الدولة العثمانية مصدر الشر الذي يحاول تقييد حريتهم وترويضهم واخضاعهم لقوانين يرفضونها جملة وتفصيلا، مما جعلهم بعيدين جدا عن روح الولاء او الخضوع للدولة ، لذا استخدمت الدولة العثمانية البطش والقتل في سيل اخضاع تلك القبائل لكنها كانت تفشل في كل مرة ، فهناك تناقض طبيعي بين عصبية القبيلة وتكوين الدولة ، فلو انتصرت

القبائل التي ثارت على الدولة العثمانية ايام المماليك وقبلها وبعدها لما استطاع زعماء القبائل الاتفاق على تشكيل دولة واضحة المعالم ، فشكل الدولة ومفهومها لم يكن يواطن عقول ابناء تلك القبائل ، وان الفرقة والتنازع اقرب الى مزاجهم من اوحد واتباع القوانين.[292] لذا كان الجو الشائع في العراق خلال مدة السيطرة العثمانية هو جو تتحكم به العشائرية والمناطقية ، فالناس كانوا يتعصبون لعشائرهم او محلاتهم اكثر مما كانوا يتعصبون لأبناء شعبهم ككل ، فأبناء المدن كانوا يتعصبون لبعضهم بغض النظر عن المستوى الثقافي والاقتصادي ، وكذا الحال مع ابناء العشائر .[293]

لذا يمكن القول ان الدولة العثمانية فشلت في احكام سيطرتها على العشائر العراقية ، وفشلت في تطبيق القوانين العادلة على المدن العراقية ، لذا فقدت صفة وثوق المواطن بها او الاحتماء بوجودها ، لذا تقوقع المواطن نحو العشيرة والمحلة بغية الحصول على الامان الشخصي الذي افتقده في الدولة الحاكمة ، وقد اشار احد نواب بغداد عام 1910 لذلك الامر في البرلمان العثماني بقوله " **اسلم للمرء الف مرة ان يعتمد على العشيرة من ان يعتمد على الحكومة ، ففي حين ان هذه الاخيرة تؤجل او تتجاهل الاخضاع نجد ان العشيرة ومهما كانت ضعيفة ما ان تعلم بان ظلما قد وقع ضد احد اعضاءها حتى تعد نفسها للأخذ بثأره**" ، وكذا الحال ايضا مع المحلات العراقية .[294]

كان القرن التاسع عشر هو قرن القوميات بامتياز على حد تعبير هنتنغتون ،[295] فقد نمت النزعة القومية في اوربا كردة فعل على سيطرة الامبرطوريات المطلقة ، فكانت الدعوة الى الدولة القومية في ايطاليا وبروسيا وانتشرت الى بقية الدول الاوربية حتى وصلت الى املاك الدولة العثمانية ، ولم يتوقف الامر على ذلك بل ان الحركات القومية اصابة بعدواها الاتراك

انفسهم ، فبعد ان نجحت دعوة السلطان عبد الحميد الثاني الى ما اسماه (الجامعة الاسلامية) واجهته نعرة قومية داخل الدولة العثمانية تمجد بالعنصر التركي وتميزه عن غيره من الجماعات المنضوية داخل الدولة العثمانية ، وهذه الدعوة بطبيعتها تتعارض مع انشاء الدولة العثمانية الدينية او دعوتها الى فكرة الجامعة الاسلامية ، وبالمقابل وكردة فعل على الدعوات القومية التركية وتأثرا بالقوميات الغربية ، كانت الدعوات القومية العربية قد تبناها مجموعة من الشباب العربي داخل حدود الدولة العثمانية وطالبوا بالوحدة القومية وانتقدوا فكرة الجامعة الاسلامية ، فالبادرة الاولى لتلك الدعوات انطلقت عام 1875 على يد مجموعة من الشباب الذين درسوا في الجامعة الامريكية واسسوا (الجمعية السورية السرية)،[296] التي رفعت شعار التخلص من الحكم التركي والثورة عليه ، وانتقلت حركة الوعي العربي الى مصر اثر الاحتلال البريطاني 1882 وظهرت مصطلحات ومعاني لم يألفها المتلقي العربي من قبيل (الوطن والامة والاستقلال وحقوق الانسان) ، حتى اصبحت مصر ملاذا امنا للقوميين العرب ، ونتيجة لذلك تعززت النزعة التركية عند القوميين الاتراك وكذا الحال عند القوميين العرب .[297]

ازدادت النزعة القومية التركية بعد انقلاب عام 1908، وظهرت تلك على شكل خطب في الميادين العامة للتنديد بالعرب وغيرهم ورفع شان الاتراك وحكمهم، حيث اشار الكاتب التركي حسين جاهد في جريدته طنين عام 1908 الى ذلك بقوله " ان الامة التركية كانت وستظل هي الامة الحاكمة في السلطنة العثمانية ، وان الترك يتمتعون بحقوق وامتيازات سامية بصفتهم فاتحين فلا مجال اذن للاعتراف بحقوق مساوية للعناصر العرقية الاخرى ، وان الدستور العثماني لا يمكن ان يكون في شكله النهائي الا دستورا تركيا " .[298]

ان هذه النزعة التي تحدث عنها الكاتب التركي ما هي الا انعكاس طبيعي للحركة القومية التركية الناشئة وفيها تهميش واقصاء واضح للأقليات الاخرى، وكانت بداية النهاية لفكرة الجامعة الاسلامية او استمرار الهوية الاسلامية بصفتها خوية جامعة للأقليات في الدولة العثمانية .

يبدو ان عوامل انحلال الدولة العثمانية انطلقت من داخلها ، وان عوامل تفكك دولتها الاسلامية الجامعة انطلقت منها ايضا ، فالدعوات التركية لم تتوقف عند حدود الشعارات والخطب والمقالات الافتتاحية ، بل تطور الى تأسيس جمعيات وحركات للمطالبة بالقومية التركية، ففي تموز 1911 تأسست جمعية ترك اوجاغي (الوطن التركي) واسسها بعض الشباب الداعين للحركة الطورانية وكان هدفها تعزيز القومية والتراث التركي ، وكان شعارهم (نحن اتراك قبل ان نكون مسلمين) وظهرت دعوة لترجمة القران الى التركية والاعتزاز بالألقاب والاسماء التركية ، وكانت الحركة قد اثارت الشباب العربي في اسطنبول وانمت الدعوة القومية العربية ، وانتقلت تلك الدعوات الى العراق اذ استطاع طالب النقيب ان يؤسس حركة (الحزب الحر المعتدل) عام 1911 في البصرة، واشر الى انه حزب يعمل لمصلحة العرب فقط لا سواهم.[299]

وتوالت بعد ذلك عملية فتح الاحزاب وانتشرت الدعوات القومية والتذمر عند اغلب المثقفين العراقيين ن ولم يتوقف الامر عند ذلك ، بل ان صداما مسلحا حدث بين قوميو البصرة والوالي العثماني (فريد بيك) ادى الى مقتل الاخير عام 1913.[300]

انتشرت حركة القوميون العرب بين الشباب العراقي بصورة ليست بقليلة ، وتوالت عملية فتح الحركات الداعمة لذلك ، لكن رغم كل ذلك فان

الحركة التي نشأت كانت ردة فعل على الحركة الطورانية وتأثرا بالحركات القومية في مصر والشام ، لكن تلك الحركات لم تستطع ان ترسم شكل الهوية العراقية الواضحة ، فغالبية الشعب العراقي لم يكن يعرف عن تلك الحركات شيء او انه لم يكن يوافقها حتى ؟ فالمجتمع العراقي كان (كما اسلفنا) هم على اصناف ثلاث : السنة وهم التابعين لأمر السلطة الحاكمة ، والشيعة التابعون لفقهائهم الدينيين ، والاكراد وهم يتبعون شيوخهم ويؤمنون بالقومية الكردية ، لذا فان السواد العام من الناس هم ممن يتبعون رجال دينهم وهؤلاء يتبعون فقه الاسلامي ويرفضون الدعوات القومية باعتبارها دعوات غربية وان الاسلام ليس دينا قوميا بل هو اممي التوجه ، لذا نجد ان اول من دافع وجود الدولة العثمانية وقاوم الاحتلال البريطاني عام 1914 هم رجال الدين الشيعة والاكراد ، لانهم يعتبرون الدولة العثمانية دولة مسلمة رغم ما اشاعته من ظلم وقتل وتشريد ؟ وظل رجال الدين يعارضون الوجود البريطاني ويقاتلونه حتى بعد تشكيل الدولة العراقية الحديثة.

## الاستنتاجات

1- شهد العراق خلال فترة الاحتلالات الخارجية حالة من التشظي وفقدان الهوية العامة للشعب العراقي.

2- حاولت كل من دولة الصفوية والعثمانية ان تصبغ الشعب العراقي بصبغتها الدينية الطائفية من خلال استخدام القوة المفرطة في ذلك.

3- نجحت الدولتين العثمانية والصفوية في تقسيم المجتمع العراقي على اسس طائفية دينية، وعززت ذلك التوجه الطائفي لا سيما في المدن العراقية.

4- لم يستطع العراقيون بمثقفيه (الافندية ورجال الدين) من ابراز هوية واضحة للشعب العراقي ككل، بل فشلوا ايضا في اظهار هوية واضحة لكل مكون من مكوناته.

5- شكلت الاحداث التي تعرض لها العراقيون منذ سقوط بغداد وحتى سقوط الدولة العثمانية حاجزا كبيرا في ايجاد هوية واضحة او ان تؤسس لشكل هوية وطنية محددة للسنوات التي تلت تشكيل الحكومة العراقية عام 1921.

6- نمت حالة الفرقة المجتمعية داخل المجتمع الواحد، حتى قسم المجتمع الى مجتمعات عدة متمايزة في العادات والاطباع والتوجهات، فكان هناك مجتمع مدني خاضع لسلطة الدولة الحاكمة ومقسم على اسس دينية او طائفية، ومجتمع ريفي خاضع لسلطة العشيرة وعاداتها واعرافها وهو ينظر بازدراء للمجتمع المدني والعكس صحيح.

7- فشل الدولة العثمانية في تكوين هوية خاصة لها او ايجاد هوية مميزة للشعب العراقي، بل عملت على تفكيك الهوية العراقية واشاعة اللاهوياتية في المجتمع العراقي.
8- ظهر في العراق تجربة مهمة لو شاء ان تستمر لأسست لحركة وطنية مهمة كان ممكن ان تكون الاساس في نشوء الدولة العراقية على اسس وطنية الا وهي تجربة اسرة ال افراسياب، لكن تلك التجربة لم يتاح لها الاستمرار.
9- اسهمت الحركات القومية بصورة جزئية في تفكيك السيطرة والولاء الكلي لفكرة الجامعة الاسلامية، ودفعت المثقفين العراقيين للتفكير الجدي في بناء شخصية شعبية عراقية بعيدة عن الشخصية الاسلامية التركية، وهي بذلك بذرة البذرة الاولى للانفكاك عن الدولة العثمانية وتأسيس بلد على اساس هوياتي (قومي عربي).

# هوامش الكتاب

---

[1] - تعد مفردة التعايش واحدة من المفردات المهمة لديمومة الحياة البشرية وتواجدها ضمن الدائرة البشرية، فدلالتها اللغوية واسعة ومصاديقها كثيرة ، ففي المعجم الوسيط اتت كلمة (تعايشوا) دالة على الالفة والمحبة، وعايشه اي عاش معه وواطنه، وفي علم السياسة والاجتماع يعني التعايش وجود نواة مشتركة لفئات متناقضة في محيط ما يقبل بعضها اراء بعض ، وتهضم الخلاف والاختلاف بعيدا عن التسقيط والتسلط والاحادية والعنف ، والالتزام بمبدأ الاحترام الكامل لحرية الاخرين وطرق تفكيرهم وسلوكهم، وتطبيقه يقلل من التعصب الديني ويكسر لتعصب المجتمعي والقبلي، وبهذا الصدد يعرفه ابلين بابيت بأنه " اقامة علاقات بين انين او اكثر من الجماعات المختلفة الهوية التي تعش في تقارب يشمل اكثر من مجرد عيش بعضهم بجانب البعض الاخر، ويشمل درجة معينة من الاتصال والتعاون والتفاعل يمكن ان يمهد التعايش لتحقيق المصالح على ساس العدالة والتسامح السلام والحقيقة " . **نقلا عن:** منى حمدي حكمت، مفهوم التعايش السلمي ومعوقاته في العراق، مجلة العلوم السياسية، ص ص336-338. ؛ سداد مولود سبع ، الهوية الوطنية وتعزيز التعايش السلمي في العراق ، مجلة دراسات دولية ، العدد 68، بغداد، ص115.

[2] - تيمورلنك: (تمر): معناها بالتركية: الحديد، و (لنك) لقب عليه معناه بالفارسية: أعرج، اذ كان به عرج ظاهر، لذا تسميه الترك (اقصاق تيمور)، ولد في سنة 1336 في قرية خواجا الغار، من قرى شهر سبنر في كيش، كان والده تورغاي (طير الدج) أميراً على قبيلة برلاس، في (ناخشه به) في جنوب سمرقند وقد قيل كان اسكافياً. امه اسمها تيكين خاتون، يرجع نسبها إلى حنكيزخان، أطلق عليه لقب عائلته (كوره كان)، فعرف بـ (تيموركوركان)، وقيل عرف بذلك اللقب بعد زواجه من حفيدة أمير قزغان (اولجاي تركمان). إذ (كوركان) تعني: الصهر، ظهرت كفايته العسكرية بعد انضمامه إلى قوات أمير قزغان، إذ رقي إلى منصب أمير الآلف (بكباشي) وبعد وفاة الأمير المذكور ساند حفيده حسين، إلا انه انضم إلى الامير الجغتاي عند محاولة فرض سيطرته على الامراء المستقلين، فعينه والياً على سمرقند، وبعدها استغل وفاة الخان الجغاتي، فاستولى على سمرقند عام 1364، ثم اختلف مع حليفه السابق حسين وقتله في 8نيسان 1369 معلناً نفسه خاناً. **ينظر:** علي خليل احمد، الدولة العثمانية في سنوات المحنة (المقدمات، الوقائع، النتائج)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 2004، ص ص54-55.

3 - نبيل الربيعي، تاريخ يهود العراق (859 ق.م – 1973م)، الجزء1 ، دار الرافدين للطباعة، بيروت ،2017، ص 95.

4 - **نقلا عن:** رفائيل بابو اسحق ، تاريخ نصارى العراق( 100 -2006م)، مطبعة المنصور ، بغداد ، 1984 ،ص 120.

5 - محمد الفاتح:هو السلطان محمد الثاني ( 431هـ- 1481م )، يعتبر السلطان العثماني السابع في سلسلة آل عثمان يلقب بالفاتح وأبي الخيرات. حكم مايقرب من ثلاثين عاماً كانت خيراً وعزة للمسلمين، تولى حكم الدولة العثمانية بعد وفاة والده في 16 محرم عام 855هـ الموافق 18 فبراير عام 1451م وكان عمره آنذاك 22 سنة ولقد امتاز السلطان محمد الفاتح بشخصية فذة جمعت بين القوة والعدل، اشتهر في التاريخ بلقب محمد الفاتح لفتحه القسطنطينية. **للمزيد ينظر :** علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، دار التوزيع والنشر الاسلامية ،مصر، 2001 ، ص87.

6 - سامي ناظم حسين المنصوري ، السياسات والاثنيات في العراق منذ الحكم العثماني حتى الوقت الراهن ، تحرير : سعد سلوم ، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية ، بغداد ، 2014، ص 20-21.

7 - سليمان القانوني : ولد سليمان القانوني في مدينة (طرابزون) كان والده آنذاك والياً عليها اهتم به والده اهتماماً عظيماً، فنشأ محباً للعلم والأدب والعلماء والادباء والفقهاء، واشتهر منذ شبابه بالجدية والوقار، أرتقى عرش السلطنة في السادسة والعشرين من عمره وكان متأنياً في جميع شؤونه ولا يتعجل في الأعمال التي يريد تنفيذها بل كان يفكر بعمق ثم يقرر واذا اتخذ قراراً لايرجع عنه. استطاع ان يتصدى للحركات الداخلية ويعزز الفتوحات العثمانية في اوربا والشرق . **للمزيد ينظر:** علي محمد محمد الصلابي، المصدر السابق، ص ص200-201.

8 - مراد الرابع : تولى أمر السلطنة بعد عزل عمه مصطفى عام 1032هـ/1622م وهو أخو عثمان الثاني ، ولصغر سنه فقد سيطر الانكشارية عليه. وكانت أحوال الدولة سيئة للغاية، فقام بإصلاح الأحوال الداخلية أولاً حتى تسنى له التفرغ للأحوال الخارجية ولذلك بدأ بالقضاء على طغاة العسكر الذي قتلوا أخاه السلطان عثمان، وأعدم جميع مخالفيه في استانبول وفي جميع أنحاء الدولة، وأسس تشيكلات قوية لنقل الاخبار اليه، وثبت من خلالها اسماء جميع المستبدين في الدولة، وكان اذا صادف بلداً في اسفاره كان يدعوا مستبديها باسمهم ويعدمهم، دخل في حروب طويلة مع الدولة الصفوية. كما منع في عهده الخمر والتدخين . توفي عام 1640 بسبب مرض النقرس . **للمزيد ينظر:** المصدر نفسه، ص 305.

[9] - **مقتبس من:** نبيل الربيعي ، المصدر السابق، ص100.

[10] - لقى اليهود الكثير من المضايقة في عهد المماليك ، اذ اعتبروهم اداة للتدخل الفرنسي والبريطاني في العراق ، فقد دبروا مؤامرة اظهرت الوالي سعيد باشا (1813-1816) وكانه خارج عن السلطان ، وتحالفوا مع الوكيل السياسي البريطاني في بغداد كلاوديوس جيمس - ريتش (Rich) ضد الوالي داوود باشا (1817-1831). **للمزيد ينظر:** عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داوود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، 1968، ص316.

[11] - سامي ناظم حسين المنصوري ، المصدر السابق، ص ص205-206. ؛ ذكرت كثير من الفتاوى الاسلامية منع اهل الذمة من ركوب الدواب ، فيذكر العلامة النووي ما نصه " ... **ويمنع الذمي من ركوب خيل لا حمير ، وبغال نفيسة ويركب بإكاف وركاب خشب لا حديد ولا سرج ، ويلجا الى اضيق الطرق ، ولا يوقر ولا يصدر في مجلس..." للمزيد ينظر:** الامام ابي زكريا يحيى بن شرف النووي ، منهاج الطالبين وعمدة المفتين في فقه مذ الامام الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص183.

[12] - جرجيس جبرائيل هومي، القوميات العراقية ماضيها وحاضرها، مطبعة الارشاد، 1959، ص ص 87-88. ؛ ان مرد تلك التصرفات مع الاقليات الدينية عائد الى كتب الفقه الاسلامي، التي وضعت ورسمت الخطوط العامة للمعاملة معهم ، فقد حددت طريقة السلام و الحركة والملبس ودفع الجزية ، فهم بحسب كتب الفقه مواطنون من الدرجات الدنيا ، لكن تلك الاحكام لم تتسرب لمفهوم عامة الناس ولم يتشبعوا بها وبقت محصورة في بطون تلك الكتب وتعامل السلطة الحاكمة التي تعتبر سلطة ورثت تلك التصرفات من الحكومات السابقة وابقت العمل بها . للاستزادة عن تلك الاحكام الفقهية **ينظر** : ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي : الاصول ، المجلد الرابع، باب لتسليم على اهل الملل . ؛ ابي الحسن مسلم بن الحجاج ، صحيح الامام مسلم ، كتاب الآداب . ؛ الحسن بن يوسف بن المطهر المعروف بالإمام الحلي تذكرة الفقهاء ، ج9 .

[13] - - سامي ناظم حسين المنصوري ، المصدر السابق، ص ص205-206.

[14] - ليوناردو الكرملي ، معرفة الشرق في العصر العثماني، الرحلة الايطالية الى العراق، ترجمة بطرس حداد ، المركز الاكاديمي للأبحاث، بيروت، 2013، ص5.

[15] - المصدر نفسه، ص 6.

[16] - الانسانيات: هو تيار ظهر في اوربا هدفه البحث عن العلوم الانسانية مثل الفن والشعر والتاريخ والفلسفة والقانون وغيره ، وقد اهتم بالإنسان بوصفة اساس البحث واصل الوجود ، لذا انشغل اغلب العلماء آنذاك بالبحث في العلوم الانسانية وطريقة تطوريها وبناء المجتمع. **للمزيد ينظر**: https://ar.wikipedia.org

[17] - ديللافاليه ، رحلة ديللافاليه الى العراق، ترجمة بطرس حداد، شركة الديوان للطباعة، بغداد،201، ص ص3-4.

[18] - للاطلاع التفصيلي عن اسباب الرحلات الى العراق **ينظر**: حيدر جاسم الرويعي، اهداف الرحالة الاوربيين وتوجهاتهم الى العراق، مجلة القادسية للعلوم الانسانية ، العدد 2، المجلد 15 ، 2012.

[19] - للاطلاع على وصف المدن العراقية **ينظر**: جيمس فيلكس جونز، مذكرات القائد جيمس فيلكس جونز: بغداد في منتصف القرن التاسع عشر، ترجمة: عبد الهادي فنجان الساعدي، دار ومكتبة عدنان، بغداد، 2014. ؛ جيمس بلي فريزر، رحلة فريزر الى بغداد ، دار الكتب العلمية، بغداد، 2013.

[20] - للاطلاع على اوضاع العراق نهاية الدولة العباسية وخلال مدة الحكم الصفوي والعثماني الاول **ينظر**: عبد الامير الرفيعي ، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية ، ج 1،2 ، بدون مكان او تاريخ. ؛ علاء موسى نورس ، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية 1700-1800، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1979.

[21] - علاء موسى كاظم نورس ، احوال بغداد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . دراسة لمختارات مما كتبه الرحالة الاجانب، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، 1990، ص10.

[22] - لوينهارت راوولف ، بغداد في سنة 1753، ترجمة سليم طه التكريتي ، بغداد، 1978، ص75.

[23] - كاسبرو بالبي، رحلة بالبي الى العراق، ترجمة بطرس حداد، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، 2005 ، ص71.

[24] - ديللافاليه ، المصدر السابق، ص43-44.

[25] - علاء موسى كاظم نورس ، احوال بغداد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ص ص11-12 .

[26] - المصدر نفسه، ص44.

[27] - المصدر نفسه، ص45.

[28] - هيرونيموس سبستياني، رحلات سبستياني للعراق (القرن السابع عشر)، ترجمة بطرس حداد، شركة الديوان للطباعة ، بغداد،2004، ص32.

[29] - جاكسون، مشاهدات بريطاني في العراق سنة 1797 ترجمة فاروق عمر، الدار العربية للموسوعات ، بيروت،2000، ص ص 84-92.

[30] - رحلة دوبريه الى العراق (1807-1809) ، ترجمة بطرس حداد ، الوراق للنشر ، بغداد ، 2011، ص92.

[31] - المصدر نفسه، ص125.

[32] المصدر نفسه، ص ص127-128.

[33] - رحلة المنشي البغدادي ، ترجمة ،عباس العزاوي المحامي ، شركة النجاة لطباعة المحدودة ،بغداد ،1948،ص24.

[34] - المصدر نفسه، ص31.؛ جيمس بلي فريزر، رحلة فريزر الى بغداد ، دار الكتب العلمية، بغداد، 2013، ص72.

[35] - رحلة المنشي البغدادي ، المصدر السابق، ص ص 25-30.

[36] - المصدر نفسه، ص30.

[37] - جيمس بلي فريزر، المصدر السابق، ص 74-78.

[38] - احمد حسين عبد الجبوري ، الاوضاع الاجتماعية في بغداد من خلال كتب الرحالة الاجانب في العهد العثماني، مجلة سر من رأى، المجلد 3، العدد 5، السنة 3، 2007، ص55.

[39] - عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني (1638 - 1917) ، الرافدين للنشر ، لبنان ، 2017 ، ص188.

[40] - ديللافاليه ، المصدر السابق، ص ص 36-37.

[41] - يذكر الاستاذ يوسف غنيمة في معرض حديثه عن تلك الواقعة ، ان الشاه اسماعيل الصفوي قتل الكثير من المسلمين السنة وذبح جميع نصارى بغداد ولم يبق واحدا منهم ، اما اليهود فلم يتعرض لهم لانهم كانوا يهدونه الهدايا الثمينة ويعطوه الاموال الطائلة التي يحتاج اليها وقت ذاك، لذا لم يعاديهم الشاه واعطاهم الحرية في الاعمال كافة. **للمزيد ينظر:** يوسف غنيمة، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ، ط4، الفرات للتوزيع والنشر، بيروت، 2009، ص ص175-176.

[42] - بطرس حداد،كنائس بغداد عبر التاريخ، مجلة بين النهرين العدد 32، 1980، ص418.

[43] - ديللافاليه ، المصدر السابق، ص48.

[44] - المصدر نفسه، ص 77-78.

[45] - للاطلاع عن معارك القوات الفارسية والعثمانية لاستعادة مدينة بغداد **ينظر** : علاء موسى نورس ، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية 1700-1800، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1979، ص ص53-60.

[46] - هيرونيموس سبستياني، رحلات سبستياني للعراق (القرن السابع عشر)، ترجمة بطرس حداد، شركة الديوان للطباعة ، بغداد،2004، ص ص33-34.

[47] - كان المسيحيون في بغداد خلال العهد العثماني مقسمين الى قسمين كبيرين هما:

القسم الاول : والذي تنضوي تحته الاكثرية المسيحية (الكاثوليك) وينقسمون على (الكلدان والسريان واللاتين والروم والارمن الكاثوليك).

اما القسم الثاني فهم المسيحيون من غير الكاثوليك وهم (النساطرة واليعاقبة والارمن الارثدوكس والبروتوستانت والسبتيون). **للمزيد ينظر**: عبد الرزاق الهلالي، المصدر السابق، ص187.

[48] - هيرونيموس سبستياني، رحلات سبستياني للعراق (القرن السابع عشر)، ترجمة بطرس حداد، شركة الديوان للطباعة، بغداد،2004، ص34.

[49] - بطرس حداد، كنائس بغداد ودياراتها، المركز الأكاديمي للأبحاث، تورنتو،2014، ص321-322

[50] - ستيفن همسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط، ط4، بغداد، 1968، ص113.

[51] - هيرونيموس سبستياني، المصدر السابق، ص36..

[52] - المصدر نفسه، ص47.

[53] - كان اكثرية الولاة مطلقي التصرف في ادارة شؤون الولايات ، فالوالي هو الراس لتلك الولاية يديرها حسب رغبته ورايه ، ويهيمن على كافة قضاياها ، وله صلاحيات داخل حدود الولاية قد تكون مطلقة ، فهو يسجن ويقتل ويحرك الجيوش لإخماد الثائرين ، ولم يكن الوالي يستشير الاستانة الا في اخطر الامور. **للمزيد ينظر**: يوسف عز الدين ، داود باشا ونهاية المماليك في العراق ، دار البصرى ، بغداد ، 1967، ص5.

[54] - هيرونيموس سبستياني، المصدر السابق، ص68.

[55] - عباس العزاوي المحامي، موسوعة تاريخ العراق بين الاحتلالين، العهد العثماني الثاني، المجلد 5 ، الدار العربية للموسوعات ، دون تاريخ ، ص76

[56] - **مقتبس من**: سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ط2، دار الرافدين للطباعة ، بيروت ، 2014، ص630.

[57] - بطرس حداد , كنائس بغداد ودياراتها، المركز الاكاديمي للأبحاث، تورنتو، 2014، ص321-322.

[58] -رحلة الفرنسي تافرنييه الى العراق في القرن السابع عشر، ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006، ص 62-63.

[59] - **نقلا عن**: بطرس حداد , كنائس بغداد ودياراتها، ص324.

[60] - هيرونيموس سبستياني، المصدر السابق، ص68.

[61] - ستيفن همسلي لونكريك ، المصر السابق، ص 113.

[62] - لياندرو الكرملي، معرفة الشرق في العصر العثماني، الرحلة الايطالية الى العراق، ترجمة بطرس حداد، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، 2013، ص71.

[63] - المصدر نفسه، ص ص 72-92.

[64] - كانت مدة حكم حسن باشا وابنه احمد باشا تمثل مرحلة جديدة للإدارة في بغداد، اذ غادرت به السلطة مرحلة العسكرية والتسلط وتتخذ لها مظهرا مدنيا لإدارة الحكم. **للمزيد**

**ينظر:** عماد عبد السلام رؤوف ، عادلة خاتون صفحة من تاريخ العراق ،ط1، بغداد، 1997، ص14.

[65] - لياندرو الكرملي ، المصدر السابق، ص101.

[66] - بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين، ترجمة وتعليق : وليد كاصد الزيدي ، ط2 ، بغداد، 2013، ص89.

[67] - تعرض الكرمليون لمضايقة السلطات العثمانية في بغداد عام 1701 ، اذ هاجم ديرهم الوالي مصطفى باشا دال طبان في 12 ايلول 1701 وامر بنهبه و بهدمه وطرد الكرمليين من المدينة عام 1708. **للمزيد ينظر**: بطرس حداد، كنائس بغداد ودياراتها، ص324.

[68] - المصدر نفسه، ص325.

[69] - لم تكن في بغداد خلال تلك المدة مدارس مسيحية خاصة لها منهجها وبناياتها وشخصيتها الخاصة، بل كانت عبارة عن مدارس بدائية للتعريف بالدين المسيحي دون تلقينهم العلوم الحديثة، فقد ذكر عبد الرزاق الهلالي ان اول مدرسة مسيحية فتحت في بغداد هي مدرسة الاتفاق الشرقي الكاثوليكي عام 1878. للمزيد ينظر:

عبد الرزاق الهلالي، المصدر السابق، ص191.

[70] - لياندرو الكرملي، المصدر السابق، ص ص 101-102.

[71] - المصدر نفسه، ص104.

[72] - نادر شاه : ولد عام 1688 م في مدينة دستكرد من خراسان ، كان ينتمي الى اسرة فقيرة تمتهن الرعي والدباغة ، وهو يعود لعشيرة افشار التركمانية المعروفة بقرقلو ، انضم بداية حياته الى عساكر حاكم ابيورد المدعو بابا علي الذي زوجه احدى بناته فيما بعد ، استطاع ان يتخلص من بابا علي ويتولى حكم ابيورد ، استطاع ان يفتح مناطق عديدة باسم الشاه طهماسب الثالث ويحرر بلاد فارس من السيطرة الافغانية ، ثم قاد حملة (1738-1739) إلى الهند، تمكن فيها من الاستيلاء على دلهي في 21 مارس 1738، حتى تم له السيطرة على مقاليد الحكم واعلان نفسه شاها على بلاد فارس . توفي عام 1747. للمزيد ينظر:

حسن كريم الجاف ، موسوعة تاريخ ايران السياسي من بداية الدولة الصفوية الى نهاية الدولة القاجارية ، المجلد الثالث، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ،2008، ص ص 106-110.

[73] - للمزيد عن الاحداث **ينظر** : علاء موسى نورس ، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية 1700-1800 ، ص ص 154-164.

[74] - لياندرو الكرملي ، المصدر السابق، ص126.

[75] - وهم سكان مدينة كمباجا (كامبي) التابعة لمقاطعة كوجرات ، ويمتازون بانهم لا يتناولون اكثر من وجبة طعام واحدة في اليوم وغالبا ما تتكون من الرز والحليب والخبز، وهم لا يأكلون لحوم الحيوانات قط ، وهم يجرمون قتل الحشرات والقوارض وكل انواع الحيوانات الزاحفة، ويمتازون بكونهم حليقي اللحى طالقو الشارب وشعر الرأس، وهم يلبسون العمامة والملابس البيضاء ، وثيابهم طويلة جدا لذا يجمعون اذيالها عند الصدر، يتحدثون اللغة الهندية ، ويمتازون ببشرتهم السمراء الداكنة ، ومن معتقداتهم الدينية انهم يحرقون الميت ويذرونه في الماء والهواء والنار والمتبقي منه يدفن في الارض، ويعقدون ان الانسان مكون من مكونات الكون الاربعة وهي (الهواء والماء والنار والتراب) لذا يجب ان تسترجع هذه العناصر حصتها بعد الموت. **للمزيد ينظر**: كاسبرو بالبي، المصدر السابق، ص ص94-96.

[76] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، ترجمة سعاد هادي العمري واخرون، مراجعة وتعليق وتقديم : سالم الالوسي، الفرات للتوزيع والنشر ، بيروت، 2012، ص ص176-177.

[77] - احمد حسين عبد الجبوري، الاوضاع الاجتماعية في بغداد من خلال كتب الرحالة الاجانب في العهد العثماني، مجلة سر من رأى، المجلد 3، العدد 5، السنة 3، 2007، ص59.

[78] - جاكسون، مشاهدات بريطاني في العراق سنة 1797 ترجمة فاروق عمر، الدار العربية للموسوعات ، بيروت،2000، ص ص 84-92.

[79] - سعاد هادي العمري، بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة، بغداد، 1954، ص18. دوبريه، المصدر السابق، ص129.

[80] - بطرس حداد، كنائس بغداد ودياراتها، ص325.

[81] - دوبريه ، رحلة دوبريه الى العراق (1807-1809) ، ترجمة بطرس حداد ، الوراق للنشر ، بغداد ، 2011، ص131.

[82] - المصدر نفسه، ص 132.

[83] - المصدر نفسه، ص133.

[84] - رحلة المنشي البغدادي ، المصدر السابق ،ص ص 23-25.

[85] - جيمس بلي فريزر، المصدر السابق، ص80.

[86] - المصدر نفسه، ص ص136-138.

[87] - سامي ناظم حسين المنصوري، المصدر السابق، ص20. بهاء حسين شاكر الشباني، مسيحيو العراق 1958-1968 دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القادسية، كلية التربية ،2017، ص38.

[88] - عبد المجيد الاول: وخليفة المسلمين الثالث بعد المائة وسلطان العثمانيين الحادي والثلاثين والثالث والعشرين من آل عثمان الذين جمعوا بين الخلافة والسلطنة. وهو ابن السلطان محمود الثاني، تولى السلطنة وله من العمر 16 عامًا وثلاثة أشهر؛ تمكنت الدولة في عهده من الانتصار في حرب القرم، واستعادة سوريا العثمانية من حكم محمد علي باشا، وأدخل إصلاحات عديدة في القوانين العثمانية، وقوّى سلطة الحكومة المركزية مقابل انحلال الولاة السابق، سيرًا على نهج أسلافه بدءًا من سليم الثالث الإصلاحي، بنى قصر طولمه بهجة ، واتخذه مقرًا لحكمه، كما رمم المسجد النبوي في المدينة المنورة. دخل في صارع مع الروس سانده بها كل من بريطانيا وفرنسا حتى اوقف الروس على حدودهم . **للمزيد ينظر:** https://ar.wikipedia.org/wiki

[89] - سامي ناظم حسين المنصوري، المسيحيون في العراق التاريخ الشامل والتحديات الراهنة، تحرير: سعد سلوم، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية، بغداد، 2014، ص214.

[90] **بنيامين التطلي الثاني** : هو بنيامين إسرائيل جوزيف ، ولد في منطقة فالتيتشيني، من مولدافيا، في رومانيا، الحالية عام 1818م، وتوفي في لندن يوم الثالث من شهر مايو عام 1864م. تزوج في سن مبكرة، وارتبط عمله بتجارة الأخشاب، ولكنه خسر ثروته الصغيرة، فتوقف عن التجارة، واصبح ميالا للمغامرة، حيث تبنى اسم بنيامين التطيلي، متأثرا به، والذي كان من أشهر الرحالة اليهود في القرن الثاني عشر. وبنيامين الثاني من اسرة يهودية أيضاً. وفي نهاية عام 1844م اختمرت في ذهنه فكرة البحث للعثور عن اماكن عشائر الأسباط العشرة من بني اسرائيل المفقودة، فانطلق في رحلة البحث هذه من فينا، حتى القسطنطينية، التي وصلها في عام 1845م. وبعدها باشر بحثه وبدأت رحلته، فقد امضى خمسة اعوام في اسيا، وثلاثة اعوام في أفريقيا. ووثقها على مرحلتين حيث سطر خطوات المرحلة الأولى بكتاب اسماه رحلة بنيامين الثاني خمس سنوات في الشرق؛ من عام 1846 حتى عام 1851م. متتبعا تواجد أبناء ديانته من اليهود في الشرق، متوجها إلى بلدان عدة منها فلسطين، لبنان، سوريا،

مصر، العراق، إيران، الهند، سنغافورة، الصين، و أفغانستان. **للمزيد ينظر**: https://ar.wikipedia.org

[91] - نبيل الربيعي ، المصدر السابق، ص101.

[92] - نقلا عن: عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داوود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، 1968، ص215.

[93] - احمد حسين عبد الجبوري ، المصدر السابق، ص63..

[94] - يورد الرحالة في كتابه فصلا عن لباس اهالي بغداد من النساء والرجال، فلليهود لباسهم الخاص وكذلك للمسلمين عرهم وعجمهم وللمسيحيين ايضا، كما ذكر المناسبات البغدادية وطرق تزاورهم على اختلاف مللهم ونحلهم. للمزيد ينظر: ليكلاما اينهولت ، رحلة اينهولت الهولندي الى العراق سنة 1866-1867، ترجمة مير بصري، دار الوراق للنشر، بغداد،2012 ، ص ص53-69.

[95] - المصدر نفسه، ص 47-49.

[96] - المصدر نفسه ، ص 72-73.

[97] - المصدر نفسه ، ص 75-77

[98] - المصدر نفسه ، ص 180-181.

[99] - بغداد بأقلام رحالة ، دار الوراق للنشر ، بيروت ، 2007، ص ص 162-163.

[100] - نقلا عن : سامي ناظم حسين المنصوري ، المسيحيون في العراق التاريخ الشامل والتحديات الراهنة، ص 203-204.

[101] - بغداد بأقلام رحالة ، المصدر السابق، ص ص 164-165.

[102] - كانت الدولة العثمانية تفرض جزية على الاقليات عندما يصل سن أحدهم مرحلة البلوغ، في فيدفع عند ذلك 120 بارة كجزية، وان 40 بارة تساوي قرشا واحدا فقط. **للمزيد ينظر**: دوبريه، المصدر السابق، ص132

[103] - طوبيا : طوبيا او طوبيت ابن طول بن حنانائيل ، وهو احد اليهود الذين سباهم الملك الاشوري شليمنصر عام 733 ق.م ، وسكن خال ذللك في مدينة نيوى ، وسمي باسمة احد اار

الكتاب المقدس (سفر طوبيا ) ، حيث ينسب اليه كتاب السفر خلال السبي ، فيم يشير بعضهم ان السفر كان للاب طوبيت لكنه وبفعل الترجمة اللاتية نسب الى الابن ، ويعتقد ان السفر كتب في القرن السادس قبل الميلاد بعد خراب نينوى 612ق.م.

**مقتبس من** : ارسالية مار نرساي الكلدانية الكاثولوكية على الموقع الالكتروني :

https://www.marnarsay.com/Bible/bibleheadphon/Tobia.htm

[104] - هيرونيموس سبستياني، المصدر السابق، ص ص26-28

[105] - تافرنييه، رحلة الفرنسي تافرنييه الى العراق في القرن السابع عشر ، ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ،2006 ، ص 34-35.

[106] - يسكن في كردستان المسلمون السنة وهم الاغلبية اذ يشكلون الشوافع 60 % منهم والاخرون حنفيون وصوفية وهؤلاء منهم البكداشية والنقشبندية والقادرية والنوربخشية، اما المسيح فهم من الارمن والسريان الارثدوكس والاشوريون ويعرفون بالنساطرة ، وهناك يسكن اليهود ايضا . **للمزيد ينظر** : مرخاي زاكن ، يهود كردستان دراسة في فن البقاء ، ترجمة: سعاد محمد خضر ، المركز الاكاديمي للأبحاث ، بيروت ، 2013، ص29.

[107] - تافرنييه ، المصدر السابق، ص41-43.

[108] - كانت مناطق شمال العراق تلحق ببغداد تارة وبالموصل تارة اخرى، فمدينة السليمانية الحقت عام 1851 بولاية الموصل كجزء من الصراع لإخضاع المدن شبه المستقلة في الامبراطورية العثمانية . **للمزيد ينظر** : مردخاي زاكن ، المصدر السابق ، ص137.

[109] - ليونهارت راوولف ، رحلة الهولندي الدكتور ليونهارت راوولف في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، ترجمة: سليم احمد خالد ،الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، 2008، ص 221-222.

[110] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، ترجمة سعاد هادي العمري واخرون، مراجعة وتعليق وتقديم : سالم الالوسي، الفرات للتوزيع والنشر ، بيروت، 2012، ص ص 291-296.

[111] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص ص 316-317.

[112] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص ص 345-355.

[113] - **نقلا عن** : سهيل قاشا ، الموصل في مذكرات الرحالة الاجانب خلال الحكم العثماني ، الفرات للتوزيع والنشر ، بيروت ،2009، ص25.

[114] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص 345-355.

[115] - الرحالة اولفييه ، معرفة الشرق في العصر العثماني : الرحلة الفرنسية الى العراق ، ط1، ترجمة: يوسف حبي ،المركز الاكاديمي للأبحاث ، بيروت ، 2014، ص 53- 55.

[116] - الرحالة اولفييه ، المصدر السابق ، ص 56.

[117] - الرحالة اولفييه ، المصدر السابق ، ص 61- 62.

[118] - الرحالة اولفييه ، المصدر السابق ، ص 61- 62.

[119] - جاكسون ، المصدر السابق ، ص120.

[120] - جاكسون، المصدر السابق، ص 121.

[121] - دوبريه ، رحلة دوبريه الى العراق (1807-1809) ، ترجمة بطرس حداد ، الوراق للنشر ، بغداد ، 2011، ص ص 68-69.

[122] - دوبريه ، المصدر السابق، ص 71.

[123] - دوبريه ، المصدر السابق، ص 72.

[124] - دوبريه ، المصدر السابق، ص82.

[125] - دومينيكو سيستيني ، العراق في رحلة الاب دومينيكو سيستيني في سنة 1781، ترجمة : خالد عبد اللطيف حسين ، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2014، ص ص 67-66

[126] - دومينيكو سيستيني ، المصدر السابق، ص 75.

[127] - دومينيكو سيستيني ، المصدر السابق، ص74.

[128] - المنشي البغدادي ، رحلة المنشي البغدادي ، ترجمة ،عباس العزاوي المحامي ، شركة النجاة لطباعة المحدودة ،بغداد ،1948، ص ص59-60.

[129] - **نقلا عن** : هيرونيموس سبستياني، المصدر السابق، ص ص26-27.

[130] - رحلة الفرنسي تافرنييه الى العراق في القرن السابع عشر، ص ص34-35.

[131] - رحلة الفرنسي تافرنييه الى العراق في القرن السابع عشر، ص ص36-37

[132] - **مقتبس من** : لياندرو الكرملي ، معرفة الشرق في العصر العثماني، الرحلة الايطالية الى العراق، ترجمة بطرس حداد ، المركز الاكاديمي للأبحاث، بيروت، 2013، ص ص 157-158.

[133] - **للمزيد ينظر**: دوبريه ، المصدر السابق، ص 69.

[134] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص302.

[135] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص304.

[136] - علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مكتبة دجلة والفرات، بيروت ،2009.

[137] - يشير الامير اليزيدي انور معاوية الى اصل تسميتهم والمغالطات الكبيرة التي يرتكبها الباحثون والكتاب بشان التسمية ، فالاسم الاصلي للطائفة هي يزيديون وليس ايزيديون ، لان هذه الاخيرة روج لها اصحاب الميول القومية الارية لا سيما الايرانيون منهم ، فهذه التسمية نشأة منذ عدة اعوام بدافع من الاحزاب الكردية الموالية لايران وللنزعة الارية الشاهنشاهية التي تحاول ارجاع الطائفة الى تراثهم القومي ، ثم يختتم كلامه بقوله نحن يزيدية ونبقى يزيدية وان اسم الطائفة ليس موضة يمكن تبديلها حسب الاهواء ومصالح الاحزاب . **نقلا عن** : سليم مطر ، جدل الهويات : عرب ..كرد..تركمان.. سريان .. يزيدية .. صراع الانتماءات في العراق والشرق الاوسط، دون مكان، دون تاريخ ، ص 222.

[138] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص ص 322-323.

[139] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص324.

[140] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص326.

[141] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص ص 342-343.

[142] - **مقتبس من**: رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص 344-345.

[143] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص346.

[144] - ينظر المبحث الاول من الكتاب.

[145] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص355.

[146] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص356.

[147] - سهيل قاشا ، الموصل في مذكرات الرحالة الاجانب خلال الحكم العثماني ، الفرات للتوزيع والنشر ، بيروت ،2009، ص29.

[148] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص ص356-357.

[149] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص 358.

[150] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص ص 359-360.

[151] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص 360.

[152] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص ص 360-361. ؛ يوسف غنيمة، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ، ط4، الفرات للتوزيع والنشر، بيروت، 2009، ص 185.

[153] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص363.

[154] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، المصدر السابق، ص336.

[155] - الرحالة اولفييه ، المصدر السابق ، ص57.

[156] - محمد باشا الجليلي : ولد سنة 1756م ، تسلم ادارة الموصل بعد وفاة والده محمد امين باشا ، وقد اشاد الباحثون بفترة حكمه وحكمته ، حيث كان ذو اخلاق محمودة عند الناس .

الرحالة اولفييه ، المصدر السابق ، ص65.

[157] - **مقتبس من** : الرحالة اولفييه ، المصدر السابق ، ص 66-67.

[158] - سهيل قاشا ، الموصل في مذكرات الرحالة الاجانب خلال الحكم العثماني ، الفرات للتوزيع والنشر ، بيروت، 2009، ص13.

[159] - جاكسون، مشاهدات بريطاني في العراق سنة 1797 ترجمة فاروق عمر، الدار العربية للموسوعات ، بيروت،2000، ص120.

[160] - **نقلا عن** : سهيل قاشا ، المصدر السابق ، ص32.

[161] - دوبريه ، المصدر السابق، ص 69.

[162] - علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج3، مطبعة الارشاد، بغداد،1969، ص23.

[163] - نجاح عطا الطائي، يهود بثوب الاسلام، ط4 ، دار الهدى لإحياء التراث ، قم ، 2006.

[164] - دوبريه ، المصدر السابق، ص 71.

[165] - دوبريه ، المصدر السابق، ص ص50-51.

[166] - دوبريه ، المصدر السابق، ص51.

[167] - **مقتبس من** : دوبريه ، المصدر السابق، ص57.

[168] - دوبريه ، المصدر السابق، ص 58.

[169] - علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج3، ص ص52 -54.

[170] - دوبريه ، المصدر السابق، ص66.

[171] - جمس بكنغهام، رحلتي الى العراق، ج 1، ترجمة: سليم طه التكريتي ، مطبعة اسعد ، بغداد ، 1968، ص 66.

[172] - دومينيكو سيستيني ، المصدر السابق، ص ص63-64.

[173] - دومينيكو سيستيني ، المصدر السابق، ص69.

[174] - دومينيكو سيستيني ، المصدر السابق، ص 200.

[175] - المنشي البغدادي ، المصدر السابق، ص ص 77-78.

[176] - المنشي البغدادي ، المصدر السابق، ص ص 82-83.

[177] - المنشي البغدادي ، المصدر السابق، ص ص 79-80.

[178] - المنشي البغدادي ، المصدر السابق، ص ص 83-86.

[179] - بهاء حسين شاكر الشباني ، مسيحيو العراق 1958-1968 دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القادسية، كلية التربية ،2017، ص38.

[180] - سامي ناظم حسين المنصوري ، المسيحيون في العراق التاريخ الشامل والتحديات الراهنة ، تحرير : سعد سلوم ، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية ، بغداد ، 2014، ص ص 205-216.

[181] - **نقلا عن** : مردخاي زاكن ، المصدر السابق ، ص ص37 - 40.

[182] - مردخاي زاكن ، المصدر السابق ، ص138.

[183] - **نقلا عن** :سامي ناظم حسين المنصوري ،السياسات والاثنيات في العراق : منذ الحكم العثماني حتى الوقت الراهن ، تحرير : سعد سلوم ، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية ، بيروت ، 2014، ص37.

[184] - على مدى سنوات واسعة خضعت البصرة لسيطرة عدة قوى، منها السيطرة العثمانية او السيطرة الداخلية للمدينة لاسيما خلال فترة حكم افراسياب وأولاده، او السيطرة الفارسية خلال الحقبة الزندية، لذا حرصنا ان لا ينسب البعض ذلك التعايش لدوافع السلطة ورغباتها في التعايش المجتمعي ، بل هو اصل في المجتمع البصري. –الباحث-

[185] - كارستن نيبور، رحلة نيبور الى العراق، ترجمة سعاد هادي العمري واخرون، دار الوراق للنشر، بغداد،2012، ص46-46.

[186] - ألكسندر آداموف ، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة: هاشم صالح التكريتي، بيروت 2009، ص15.

[187] - دومنيكو سيستيني، العراق في رحلة الاب دومنيكو سيستيني في سنة 1781، ترجمة خالد عبد اللطيف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،2014، ص144.

[188] - **مقتبس من**: كارستن نيبور، المصدر السابق، ص ص45-46.

[189] - كانت البصرة خلال الحكم العثماني مدينة مسورة شانها شان بقية المدن الاخرى ، ودعت الحاجة الى مد السور ليضم اكثر من محلة في بداية القرن السادس عشر ، ويرجح انه وصل الى محلة السيف ، ويمكن متابعة ترسيم خط هذا السور ابتدأ من غرب محلة الديوانية والمشراق بحيث يمتد بمحاذات نهر العشار من جهته الجنوبية الى نهاية محلة السيف ومن جهة الغرب يمتد نحو الجنوب ثم الشرق بمحاذاة نهر الخورة الى ان يصل الى جنوب محلة ميدان العبيد ، وقد يمتد شمالا ليلتقي مع امتداد السور الاول بعد نهاية محلة السيف ، وفي عهد علي افراسياب تم بناء اسوار للمدينة مستطيلة الشكل غير منتظمة بسبب محاذاة الاسوار لنهري الخورة والخندق ، وعزز جسين اقراسياب من اسوار المدينة وزاد في قوتها ، وفد لعبت الاسوار دورا مهما في الدفاع عن المدينة . **للمزيد ينظر**: حسين علي المصطفى، تكوين البصرة الحديثة، مركز تراث البصرة، البصرة، 2016، ص75-76.

[190] - جاكسون، مشاهدات بريطاني في العراق سنة 1797 ترجمة فاروق عمر، الدار العربية للموسوعات ، بيروت،2000، ص36. ؛ عدة مؤلفون، رحالة اوربيون في العراق، دار الوراق، بغداد،2007،ص35.

[191] - **مقتبس من**: ديللافاليه ، المصدر السابق، ص130.

[192] - عدة مؤلفون، المصدر السابق، ص35.

[193] - كارستن نيبور، المصدر السابق ، ص ص47-48.

[194] - **نقلا عن** : حسين علي المصطفى ، المصدر السابق ، ص70.

[195] - ناهدة حسين علي الاسدي، البصرة في ظل الحكم العثماني: دراسة في وصف البصرة وسكانها خلال القرن التاسع عشر، مجلة كلية التربية الاساسية، العدد 83، المجلد 20، ص417.

[196] - المصدر نفسه ، ص48-ص60.

[197] - **نقلا عن**: المصدر نفسه ، ص ص418-419.

[198] - محمد ضايع حسون الجبوري، البصرة دراسة في اوضاعها السياسية والاجتماعية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 1998، ص164.

[199] - عدة مؤلفون، المصدر السابق، ص62)؛ هيرونيموس سبستياني، رحلات سبستياني للعراق (القرن السابع عشر)، ترجمة بطرس حداد، شركة الديوان للطباعة، بغداد،2004، ص49.

[200]- كاسبرو بالبي، رحلة بالبي الى العراق، ترجمة بطرس حداد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2005، ص ص92_93.

[201] - كانت تسود المناطق الصحراوية شبكة من العلاقات والصراعات العشائرية بحث لا يستطيع الاغراب من تامين تجارتهم او أنفسهم الا بحماية احدى العشائر، لذا تعرض العشائر عليهم الحماية مقابل دفع مبالغ مادية محددة او بضائع عينية. **للمزيد ينظر**: عدة مؤلفون، المصدر السابق، ص38.

[202] - عدة مؤلفون، المصدر السابق، ص 60-61.

[203] - المصدر نفسه ، ص23.

[204] - كاسبرو بالبي، المصدر السابق، ص101.

[205] - عدة مؤلفون، المصدر السابق،ص ص23_24.

[206] - ليكلاما اينهولت ، رحلة اينهولت الهولندي الى العراق سنة 1866-1867، ترجمة مير بصري، دار الوراق للنشر، بغداد،2012،ص85_87.

[207] - فراس عبد الجبار الربيعي و نسرين رشيد هادي الكرخي، البصرة دراسة جيو تاريخية، مجلة آداب البصرة ، العدد 63، المجلد 2، 2012، ص853.

[208] - **اهل بانيان:** وهم سكان مدينة كمباجا (كامبي) التابعة لمقاطعة كوجرات ، ويمتازون بانهم لا يتناولون اكثمن وجبة طعام واحدة في اليوم وغالبا ما تتكون من الرز والحليب والخبز، وهم لا يأكلون لحوم الحيوانات قط ، وهم يجرمون قتل الحشرات والقوارض وكل انواع الحيوانات الزاحفة، ويمتازون بكونهم حليقي اللحى طالقو الشارب وشعر الرأس، وهم يلبسون العمامة والملابس البيضاء ، وثيابهم طويلة جدا لذا يجمعون اذيالها عند الصدر، يتحدثون اللغة الهندية ، ويمتازون ببشرتهم السمراء الداكنة ، ومن معتقداتهم الدينية انهم يحرقون الميت ويذرونه في الماء والهواء والنار والمتبقي منه يدفن في الارض، ويعقدون ان الانسان مكون من مكونات الكون الاربعة وهي (الهواء والماء والنار والتراب) لذا يجب ان تسترجع هذه العناصر حصتها بعد الموت. للمزيد ينظر:

كاسبرو بالبي، المصدر السابق، ص ص94-96.

[209] - المصدر نفسه، ص96.

[210] - لم تتعامل مناطق الخليج العربي مع الاجانب، ورفضوا تواجدهم في اراضيهم، فقد قاومت مناطق الخليج لاسيما عمان والبحرين وامارات الخليج الاخرى التواجد الاجنبي مدفوعين بدوافع دينية، لذا نجد ان الارساليات التبشيرية لم تفتتح في الخليج العربي حتى القرن التاسع عشر. للاطلاع على ذلك تفصيلاً ينظر:

صبري فالح الحمدي، صفحات من تاريخ الخليج العربي الحديث، ط1، دار الحكمة، لندن،2002، ص ص46-50. عبد الملك خلف التميمي، التبشير في منطقة الخليج العربي: دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي، بدون مكان، بدون سنة، ص ص21-22.

[211] - جسين علي المصطفى ، المصدر السابق ، ص 109-110.

[212] - افراسياب : هو افراسياب الديري ينحدر اب سلجوقي وام بصرية من اهالي الدير ، كان كاتبا للجند في البصرة ، استطاع عام 1596 من شراء المدينة من الحاكم العثماني علي باشا، وذلك لان الاخير عجز عن صد جمات القبائل العربية على المدينة ، وكان الوالي قد عجز من دفع مرتبات جنوده بسبب قلة ايرادات للدولة، وقد استطاع افراسياب ان يوطد حكمه ويجعله وراثيا في ولده ، لكن الدولة العثمانية استطاعة اعادة سيطرتها على المدينة ، اذ استطاع والي بغداد قره مصطفى باشا من دخول المدينة واسقاط حكم ال افراسياب عام 1667. **للمزيد ينظر**: علاء موسى كاظم نورس، العراق في العهد العثماني: دراسة في العلاقات السياسية 1700-1800، دار الحرية للطباعة، بغداد ، 1979، ص38.

[213] - **نفلا عن**: حيدر حربي شاكر الخيقاني، كتابات الرحالة الاوربيين احدى المصادر المهمة في تدوين تاريخ مدينة البصرة (نماذج مختارة) ، مجلة آداب البصرة، العدد 63،المجلد 2، 2012 ، ص 787.

[214] - كان الرهبان الكرمليون قد وصلوا الى مدينة البصرة عام 1623 قادمون من مدينة اسيكان الفارسية ، وهم اول دعاة كاثوليك وصلوا الى العراق ، وقد حل في البصرة بنفس الوقت رهبان برتغاليون من فرقة الاوغسطينيين ، ويحمل كبيرهم لقب (نائب رئيس اساقفة غوا). ولم تلبث ان قامت بين هاتين الفرقتين الكاثوليكيتين منافسة شديدة تحوت فيما بعد الى عداوة مكشوفة بلغت الى حد ان الاوغسطينيين كانوا يهددون كل كاثوليكي يقترب من الكرمليين بالحرمان من الكنيسة. ورغم ذلك فان حكام البصرة لم يتدخلوا في الصراع الذي نشب بين الرهبان الفرنسيين والبرتغال، وتصرفوا بنفس الدرجة من التساهل بينهما. **للمزيد ينظر**: الكسندر آدموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة: هاشم صالح التكريتي، دار الوراق للنشر، بيروت ، 2009، ص 216.

[215] - **مقتبس من**: ديللافاليه ، المصدر السابق ، ص132.

[216] - **مقتبس من**: دومنيكو سيستيني، المصدر السابق، ص136 .

[217] - ديللافاليه ، المصدر السابق ، ص132_133.

[218] - ويسمى عند الصابئة بكتاب (السدره ربه) وهو نفسه كتاب الكنزة ربه ، وهو يحتوي على طقوس الخدمة الدينية للصابئة وتعاليمهم بشأن خلق العالم، والكلمة باللغة المندائية تعني الكنز العظيم ، ويعتقد الصابئة أنه يجمع صحف آدم وشيت وسام ويتألف الكتاب من 18 كتاباً في 62 سورة تقع في حوالي 600 صفحة وهو بقسمين: القسم الأول: ويتضمن سفر التكوين وتعاليم "الحي العظيم" والصراع الدائر بين الخير والشر والنور والظلام وكذلك هبوط

"النفس" في جسد آدم ويتضمن كذلك تسبيحا للخالق وأحكام فقهية ودينية ، القسم الثاني: ويتناول قضايا "النفس" وما يلحقها من عقاب وثواب. **للمزيد ينظر**: ألكسندر آدموف، المصدر السابق، ص267.

https://ar.wikipedia.org

[219] - **مقتبس من**: ديلافاليه، المصدر السابق، ص131 .

[220] - علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص 39. ؛ ستيفن همسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر خياط، ط6، بغداد، 1985، ص132.

[221] - ديللافاليه ، المصدر السابق ، ص142_143.

[222] - **مقتبس من**: المصدر نفسه، ص144-145 .

[223] - **مقتبس من**: هيرونيموس سبستياني، المصدر السابق،ص50.

[224] - المصدر نفسه،ص ص 50_51 .

[225] -المصدر نفسه، ص56 .

[226] - **مقتبس من**: المصدر نفسه، ص57.

[227] - كارستن نيبور، المصدر السابق، ص55_56.

[228] - مراد الرابع (1612-1640): راد الرابع بن أحمد الأول بن محمد الثالث بن مراد الثالث بن سليم الثاني بن سليمان القانوني بن سليم الأول بن بايزيد الثاني بن محمد الفاتح بن مراد الثاني بن محمد الأول جلبي بن بايزيد الأول بن مراد الأول بن أورخان غازي بن عثمان بن أرطغل هو السلطان العثماني السابع عشر، وتولى الخلافة وهو صغير فسيطر عليه الإنكشارية في بداية الأمر. حدث تمرد في بغداد فأرسل الخليفة جيشًا إليها ولكن الصفويون دخلوا بغداد واستولوا عليها، وبعد وفاة الشاه عباس وتولى ابنه الصغير مكانه استغل العثمانيون الفرصة وحاصروا بغداد ولكنهم لم يتمكنوا من اقتحامها. انت الدولة في الفترة الأولى من ولايته من عدم الاستقرار، واستمرار الفوضى والمنازعات داخل الدولة وخارجها، وكانت الأمور كلها في يد السلطانة كوسم وظل الأمر على هذا النحو من الفتن والقلاقل وثورات الإنكشارية حتى انتهت فترة نيابة السلطانة كوسم التي دامت نحو تسع سنوات، وأصبح مراد الرابع طليق اليد في إدارة شئون الدولة؛ فنجح في إعادة الأمن إلى الدولة التي كادت تمزقها الفتن والخلافات، وضرب بيد من حديد على الخارجين عليه والثائرين، وأنعش خزانة الدولة التي أرهقت في فترة

الاضطرابات، ومد في عمر الدولة نصف قرن من الزمان قبل أن تتناوشها أوروبا في حروب متصلة، واستعان في تحقيق ذلك بكل وسائل الترهيب. **للمزيد ينظر**: /https://www.britannica.com

[229] - محمد عبد الله العزاوي، صفحات من تاريخ العلاقات الفرنسية مع البصرة في العصر الحديث، مجلة اداب البصرة ، العدد 63، المجلد 2، 2012، ص 576. ؛ الكسندر آدموف، المصدر السابق، ص 217.

[230] - **مقتبس من**: عدة مؤلفون، المصدر السابق، ص115.

[231] - كارستن نيبور، المصدر السابق، ص58_59.

[232] - المصدر نفسه .

[233] - دومنيكو سيستيني، المصدر السابق، ص139.

[234] - يوسف غنيمة، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط4، الفرات للتوزيع والنشر، بيروت، 2009، ص 186.

[235] - **مقتبس من**: المصدر نفسه ،ص60.

[236] - المصدر نفسه ص ص62_63.

[237] - المصدر نفسه، ص164.

[238] - عزير: هو احد انبياء بني اسرائيل من اولاد لاوي بن يعقوب، وجاء في التفاسير الاسلامية بانه الذي اماته الله مئة عم وبعثه ، وجاء ذكره في سورة البقرة الآية 259، وضريحة في مدينة العمارة ، وهناك ضريح اخر في مدينة العيزرية في القدس، اما مرقده في العمارة فهو مشهد معمور تأتيه النذور من مختلف الملل ، ويقوم على خدمته ابناء الطائفة اليهودية . للمزيد ينظر: محمد بن السيد احمد الحسن، رحلة المنشي البغدادي ، ترجمة ،عباس العزاوي المحامي ، شركة النجاة لطباعة المحدودة ،بغداد ،1948،ص95.

[239] - ج ..ج لوريمر ، دليل الخليج، القسم الجغرافي ،ج1،مطابع علي بن علي ، د.ت ، ص237.

[240] - **للمزيد ينظر**: دومنيكو سيستيني، المصدر السابق ،ص ص126-127 ؛ هيرونيموس سبستياني، المصدر السابق، ص ص40-41. ؛ عدة مؤلفون، المصدر السابق، ص78 ؛ كارستن نيبور، المصدر السابق، ص ص 91-92.

[241] - **اقتبس من**: جاكسون ، المصدر السابق ، ص38_ص40.

[242] - **مقتبس من** : المصدر نفسه،ص40.

[243] - محمد عمر احمد ابو عنزه، واقع اشكالية الهوية العربية بين الاطروحات القومية والاسلامية ، دراسة من منظور فكري ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الاوسط ، كلية الاب والعلوم ، الاردن ، 2011، ص -ص35-38.

[244] - المصدر نفسه.

[245] - **نقلا عن**: صموئيل ب. هنتنغتون ، من نحن : التحديات التي تواجه الهوية الامريكية ، ترجمة : حسام الدين خضور، دار الرأي للنشر، دمشق، 2005، ص37.

[246] - سداد مولود سبع ، الهوية الوطنية وتعزيز التعايش السلمي في العراق ، مجلة دراسات دولية ،العدد 68 ، ص112.

[247] - **نقلا عن**: دنيا هاتف مكي، تحولات الهوية في العراق بين الهوية الوطنية والفرعية ، الجلة السياسية والدولية ، ص 279.

[248] - حسن حنفي ، الهوية ، ط1، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ،2012، ص73.

[249] - عبد الرزاق احمد عبد الرزاق، الهوية الاسلامية مقوماتها ووسائل الحفاظ عليها، ص43-44.

[250] - ليورا لوكيتز ، العراق والبحث عن الهوية الوطنية ، ترجمة : دلشاد ميران ، دار ئاراس للطباعة والنشر ، اربيل ، 2004، ص114.

[251] - محمد رشيد صبار ، الطائفية واثرها في مستقبل الهوية الوطنية العراقية ، مجلة دراسات دولية ، العدد 67، ص ص233-234.

[252] - صموئيل ب. هنتنغتون ، المصدر السابق، ص43.

[253] - محمد رشيد صبار، المصدر السابق ، ص ص235-243.

[254] - علي سلمان صايل السلامي ، المصدر السابق ، ص315.

[255] - محمد رشيد صبار، المصدر السابق ، ص ص236-237.

[256] - حميد فاضل حسين ، الهوية الوطنية العراقية : ازمات الماضي والحاضر ، الاسباب والمعالجات ، مجلة العلوم السياسية ، ص62.

[257] - المصدر نفسه ، ص ص 62-63.

[258] - علي سلمان صايل السلامي، المصدر السابق، ص 19.

[259] - سداد مولود سبع ، المصدر السسابق، ص19.

[260] - المصدر نفسه، ص ص110-111.

[261] - علي بن الحسن بن عساكر، تاريخ دمشق، ج1، دار الفكر للطباعة، بيروت 1415هـ، ص138.

[262] - محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، ج4،ط5،دار المعارف ، القاهرة ،1992، ص59. ؛ علي بن كرم بن الاثير ، النهاية في غريب الحديث ، تحقيق احمد عزاوي ، ج1 ، ط 4 ، مؤسسة اسماعليان للنشر ، 1364هـ ، ص 299.

[263] - محمد بن جرير الطبري، المصدر السابق، ج3، ص323. علي بن ابي الكرم ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، 2010، ص 119-120.

[264] - للاطلاع عن احوال العراق بعد سقوط الخلافة العباسية والهجمات التي تعرض لها **ينظر**: عبد الامير الرفيعي ، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية ، ج2،ج3، دون مكان او تاريخ . ؛ عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج1، مطبعة بغداد ، 1935 .

[265] - ابراهيم الحيدري ، الخصية العراقية ، البحث عن الهوية ، التنوير للطباعة ، لبنان ، 2013، ص ص91-92.

[266] - رحلة دوبريه الى العراق (1807-1809) ، ترجمة بطرس حداد ، الوراق للنشر ، بغداد ، 2011، ص132.

[267] - الحسن بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، نقحه يوسف البقاعي، ج 2، ط1، دار احياء التراث العربي ، بيروت، 2002، ص337.

[268] - محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، تصحيح: علي اكبر غفاري، ج5، ط 3، طهران، 1367هـ ، ص 158.

[269] - احمد بن ادريس الحلي، السرائر، ج1، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، 1410هـ، ص 331.

[270] - للمزيد عن احول الشيعة حلال العهد العثماني ينظر:

سعد سلوم ، السياسات والاثنيات في العراق : منذ الحكم العثماني حتى الوقت الراهن، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية، بيروت ،2014، ص ص53-97.

[271] - نور الدين حاطوم ، تاريخ عصر النهضة الاوربية ، دار النفائس ، سوريا ، 1985. ؛ جلال يحيى ، اوربا في العصور الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية، 1981.

[272] - للمزيد عن هذه الاحداث والوقائع **ينظر**: علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مكتبة دجلة والفرات، بيروت ،2009، ص ص137-159. علاء موسى كاظم نورس، العراق في العهد العثماني: دراسة في العلاقات السياسية 1700-1800، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1979. محمد سهيل طقوش ، تاريخ الدولة الصفوية ،دار النفائس ، لبنان ، 2009، ص 45-149.

[273] - حنا بطاطو ، الطبقات الاجتماعية ، ج1، ص ص36-39.

[274] - لؤي خزعل جبر، الهوية الوطنية العراقية، المركز العراقي للمعلومات والدراسات، ط1، بغداد،2008، ص 81-82.

[275] - حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق 1914-1990، ط1ن دار المجتبى، ص25.

[276] - عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق (في العهد العثماني 1638-1917)، ط1، بيروت،2017، ص33-ص49.

[277] - **نقلا عن**: لؤي خزعل جبر، المصدر السابق، ص83.

[278] - حنا بطاطو ، ج1، ص ص63-67.

[279] - علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج1، مطبعة الارشاد، بغداد،1969، ص43

[280] - المصدر نفسه، ص45

[281] - حسن العلوي، المصدر السابق ، ص 51.

[282] - المصدر نفسه ، ص54.

[283] - علي الوردي، المصدر السابق، ج1، ص81.

[284] - ستيفن همسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر خياط، ط6، بغداد، 1985، ص ص97-98.

[285] - عبد الخالق ناصر شومان ، الطائفية السياسية في العراق، ص 39.

[286] - عبد الرزاق الهلالي ، المصدر السابق، ص49.

[287] - حسن العلوي ، المصدر السابق ، ص57.

[288] - افراسياب : هو افراسياب الديري ينحدر اب سلجوقي وام بصرية من اهالي الدير ، كان كاتبا للجند في البصرة ، استطاع عام 1596 من شراء المدينة من الحاكم العثماني علي باشا، وذلك لان الاخير عجز عن صد جمات القبائل العربية على المدينة ، وكان الوالي قد عجز من دفع مرتبات جنوده بسبب قلة ايرادات للدولة، وقد استطاع افراسياب ان يوطد حكمه ويجعله وراثيا في ولده ، لكن الدولة العثمانية استطاعة اعادة سيطرتها على المدينة، اذ استطاع والي بغداد قره مصطفى باشا من دخول المدينة واسقاط حكم ال افراسياب عام 1667. للمزيد ينظر:

علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص38.

[289] - سليمان فائق بك ، تاريخ المماليك الكولة مند في بغداد ، ترجمة : محمد نجيب ارمنازي، مطبعة المعارف ، 1961.

[290] - حنا بطاطو ، العراق : الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية، ترجمة : عفيف رزاز، ج1، روح الامين، 1427هـ، ص 36.

[291] - علي الوردي ، المصدر السابق، ج1، ص 151.

[292] - المصدر نفسه، ص98.

[293] - المصدر نفسه ، ص ص28-29.

[294] - حنا بطاطو، المصدر السابق، ج1، ص40.

[295] - صموئيل ب. هنتنغتون ، من نحن : التحديات التي تواجه الهوية الامريكية ، ترجمة : حسام الدين خضور، دار الرأي للنشر، دمشق، 2005، ص 357.

[296] - جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، ترجمة : ناصر الدين الاسد واحسان عباس ، بيروت، 1992 ، ص ص 149-150.

[297] - علي الوردي ، المصدر السابق ، ج1، ص ص203-204. ؛ حنا بطاطو ، المصدر السابق ، ج1، ص41.

[298] - علي الوردي ، المصدر السابق ، ج1، ص 205.

[299] - المصدر نفسه، ج3، ص ص209-210.

[300] - المصدر نفسه، ج3، ص215.

جاء هذا الكتاب كبادرة لتسليط الضوء على مفردة التعايش الديني وكيف تطرق الرحّالة الأجانب لها. فالمجتمع العراقي عبر التاريخ لم يكن مجتمعًا أحادي الوجهة (العرقية والدينية والإثنية) بل هو خليط غير متجانس من مجموعات بشرية سكنوا أرضًا واحدة، وعملت التوجهات الدينية (بسبب شياع الجهل والأمية واللاوعي) إلى السيطرة على عقول المنتميين إليها، لذا كانت النزعة الدينية الممزوجة بالعشائرية هي المحرك والموجه للجماعات العراقية والعرقية، لذا ومن البديهي أن تكون النزعات والتوجهات الدينية هي الشارخة لوحدة أي تجمعات إنسانية وذلك لأن محركاتها غالبًا تنبثق من الوجهة الدينية التي تهتم بالحركات ذات النزعة الأحادية الطائفية، إن هذه التوجهات كانت حاضرة في الذاكرة التاريخية العراقية، لكن بذات الوقت هنالك نزعة اجتماعية عابرة للأديان كانت محركًا صامتًا للجماعات والأقليات ألا وهي حالة التعايش الديني، وهذه الحالة فرضها الواقع الإنساني والنزعة البشرية على الناس ، والذي لمسه الرحالة الأجانب في رحلاتهم

